١

ترتيب وتهذيب كتاب

البداية والنهاية

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

رتبه وهذبه وخرج نصوصه وضبط أعلامه

د. محمد بن صامل السُّلمي

دار الوطن للنشر

ⓒ دار الوطن للنشر ، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن كثير ، اسماعيل بن عمر .
ترتيب وتهذيب البداية والنهاية : خلافة أبي بكر الصديق / تحقيق محمد صامل السلمي - الرياض
١٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٥ - ١١٧ - ٢٨ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-١١٨-٢٨-٩٩٦٠ (ج ١)
١ - التاريخ الإسلامي ٢- الخلفاء الراشدون ٣- أبو بكر الصديق، عبدالله بن أبي قحافة ، ت ١٣هـ أ -العنوان
ديوي ٩٥٣،٠٢٢ ١٨/١٩٨٩

رقم الإيداع : ١٨/١٩٨٩
ردمك : ٥ - ١١٧ - ٢٨ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-١١٨-٢٨-٩٩٦٠ (ج ١)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المتقين نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فإن تاريخ الامام الحافظ ابن كثير الموسوم بكتاب (البداية والنهاية) من كتب التاريخ الجامعة، وهو صورة عن ثقافة مؤلفة، الحافظ، المحدث، المفسر، المؤرخ، وقد جمع في هذا الكتاب علوماً كثيرة، وبحث مسائل متعددة ودخل في تخصصات مختلفة، فحقق وناقش، واعترض، واستدل بِنَفَس العالم الذي ينشد الحق ويجمع الأدلة ويوازن بينها.

وإني بحكم التخصص ارجع الى هذا الكتاب كثيراً، واطلب من طلابي الرجوع له وخاصة في تاريخ صدر الاسلام، لكن شكا البعض منهم طول الكتاب واستطراده، وتجزئة الموضوعات والحوادث فيه بحسب وقوعها، وهو قد سار في ترتيب الكتاب على النظام الحولي بحسب السنوات الهجرية مما يجعل بعض الحوادث التاريخية مجزأة بحسب سني وقوعها، وطلاب هذا الزمان ضعفت همم الكثير منهم، وقَلّ صبرهم على العلم والبحث في مسائله، يريدون كل شيء جاهزاً قريب التناول.

ورغبة في تيسير الاستفادة من هذه الموسوعة وتقريب فوائدها استخرت الله في ترتيب وتهذيب كتاب (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير رحمه الله.

والتهذيب والترتيب منهج سلكه أهل العلم، وهو أحد أغراض التأليف التي نصُّوا عليها، ورأيت أن أبدأ بعصر الخلفاء الراشدين لمسيس الحاجة إليه خاصة في التدريس الجامعي، ولربط طلاب الجامعة بكتب السلف وتعويدهم على أساليبها.

وقد قدمت بين يدي ذلك ببيان منهجي في التهذيب، ثم ترجمة موجزة للحافظ ابن كثير، وبيان منهجه ومصادره في كتاب البداية والنهاية على سبيل الإجمال.

وا لله أسأل أن ينفع بهذا التهذيب كما نفع بأصله والحمد لله رب العالمين.

محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة

شهر صفر ١٤١٨هـ

منهج الترتيب والتهذيب وعملي فيه

المنهج الذي سلكه الحافظ ابن كثير في ترتيب كتابه ابتداء من السنة الأولى من الهجرة النبوية، هو الترتيب الحولي للحوادث التاريخية، وهو منهج سلكه قبله خليفة بن خياط، والامام الطبري، والمؤرخ ابن الاثير مع تعديل يسير[1]، والإمام ابن الجوزي، وغيرهم وهو منهج في الترتيب له فوائد كما أن له سلبيات.

وقد سلكت في تهذيب كتاب (البداية والنهاية) الأمور التالية:

١ - الترتيب الموضوعي، فقد جعلت خلافة كل واحد من الخلفاء الراشدين في عدد من الفصول بحسب الموضوعات الجامعة لكل فصل، فعقدت، فصلا في ترجمته وفضائله، وأخر في استخلافه،وثالثاً في الفتوحات في عصره .. وهكذا.

وبهذا جمعت الموضوعات المتشابهه إلى بعض من مواطن متفرقة من الكتاب، وجعلت فهرساً يوضح ذلك لتيسير المراجعة في الأصل.

٢ - حذفت الاستطرادات، والأحاديث الضعيفة، والروايات والقصص التى في متونها شذوذ أو الفاظ منكرة، كما حذفت التراجم للاعلام التى يذكرها في نهاية كل سنة لكون ذلك الصق بكتب الطبقات والتراجم والرجال.

---

[1] وهو أنه جمع أخبار الحادثة الواحدة اذا كانت في أكثر من سنة في مكان واحد، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه (الكامل في التاريخ ١/٤).

٣ - خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، وقابلتها مع تلك المصادر لتصحيحها وضبطها.

٤ - ضبطت الأعلام والألفاظ المحتاجة إلى ضبط وعرفت الأماكن من كتب البلدان وضبطتها، وشرحت الغريب من كتب اللغة.

٥ - حافظت على عبارة المصنف و لم أغير منها شيئاً، سوى مواطن يسيرة جداً لغرض ربط العبارات والجمل بعد حذف الاستطرادات، أو جمع المتشابه في موضع واحد.

٦ ـ جميع طبعات الكتاب ـ وهي كثيرة ـ مصورة عن الطبعة الأولى الصادرة سنة ١٣٥١هـ ـ١٩٣٢م.

عن المطبعة السلفية، ومطبعة السعادة، ومكتبة الخانجي بمصر، أو مطبوعة عنها و لم يرجع الناشرون لها إلى مخطوطات الكتاب، ولذلك وقع فيها تصحيف وسقط كثير، واتضح لي ذلك من خلال مقارنة النصوص بمصادرها، ولهذا ألزمت نفسي بمراجعة جميع نصوص الكتاب على مصادر المصنف وصححتها على ذلك، و لم أشأ أن أثقل حواشي الكتاب ببيان التصحيف في كل موطن واكتفيت بذكر نماذج يسيرة.

٧ - إذا قلت في الأصل كذا ...، فالمراد كتاب البداية والنهاية طبعة دار الفكر في بيروت، وكنت أرغب في الرجوع إلى مخطوطات الكتاب ولكن لم يتيسر ذلك.

٨ - بالنسبة لفضائل الخلفاء فإن الحافظ ابن كثير رحمه الله قد ذكر جملة صالحة منها، بعضها في الصحيحين، وبعضها في السنن والمسانيد والمصنفات، وفيها الصحيح والحسن والضعيف.

وقد رأيت في هذا التهذيب من باب الاختصار الاكتفاء بما في صحيح البخاري سواء ذكره المصنف أو لم يذكره. وقد أشرت إلى ذلك في موطنه.

٩ - وضعت عناوين للفصول والمباحث والفقرات، جامعة لمعانيها ومقربة لها.

الامام الحافظ ابن كثير وكتابه البداية والنهاية:

هو الامام الحافظ الحجة المؤرخ الثقة، عماد الدين أبو الفداء: اسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي، البصروي، الدمشقي، الشافعي.

ولد بقرية "مِجْدَل" من أعمال بُصْرى سنة ٧٠٠هـ، وتوفي والده وهو ابن ثلاث سنين، وكان والده خطيب القرية، واسماعيل ابن كثير هو أصغر ولد أبيه، وسُميّ على اسم أخيه الأكبر اسماعيل الذي توفي وهو يطلب العلم بدمشق قبل ولادة مؤرخنا، وقد انتقل ابن كثير إلى دمشق سنة ٧٠٧هـ، وبدأ طلب العلم على يدي شقيقه عبد الوهاب[١]، وقد حفظ القرآن، واعتنى بالحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، وتتلمذ على شيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، ولازمه وأحبّه، وكانت له به خصوصية واتباع ودفاع عنه حتى أوذى وامتحن بسبب ذلك[٢]. وأفادته تلك الصحبة أعظم الفوائد، في علمه، وتقوية خلقه، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة، ولذلك كان مستقل الرأي، يدور مع الدليل حيث دار، لايتعصب لمذهبه ولا لغيره، وكتبه العظيمة شاهدة بذلك[٣] فهو داعية إلى السنة والعمل بها ومحارب للبدعة والتعصب المذهبي.

ومن شيوخه الكبار غير ابن تيمية: علم الدين القاسم بن محمد البرزالي (ت٧٣٩هـ)، وأبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي (ت ٧٤٢هـ) وشمس الدين أحمد ابن محمد الذهبي (ت٧٤٨).

---

(١) البداية والنهاية ٣١/١٤٢.

(٢) شذرات الذهب، ٢٣٢/٦.

(٣) أحمد شاكر: مقدمة عمدة التفسير ٢٨/١.

وقد أثنى عليه أهل العلم في عصره وبعد عصره. فقال الذهبي: الامام الفقيه المحدث الأوحد البارع، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقّال[١].

وقال تلميذه ابن حجي: كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان يستحضر كثيراً من التفسير والتاريخ، قليل النسيان، جيد الفهم صحيح الدين"[٢].

وقال العلامة العيني: انتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير[٣].

وقال ابن حبيب: واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير"[٤].

ومن أشهر مؤلفاته تفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد والسنن، والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل. وقد جمع فيه بين كتابي، تهذيب الكمال للمزي، وميزان الاعتدال للذهبي، مع زيادات في الجرح والتعديل، **وكتاب البداية والنهاية.**

وهو موسوعة شاملة في التاريخ، ابتدأه بالحديث عن المخلوقات (العرش والكرسي، والسموات والأرض ومافيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين) ثم عن خلق آدم عليه السلام، ووصل ذلك بالحديث عن الأنبياء والرسل عليهم السلام إلى زمن عيسى بن مريم عليه السلام،

(١) المعجم المختص، ص٧٤.
(٢) النعيمي، الدارس في أخبار المدارس ١/٣٦-٣٧
(٣) النجوم الزاهرة ١١/١٢٣.
(٤) شذرات الذهب ٦/٢٣١.

وذكر من عاصرهم من الأمم، ومواقف من بعثوا إليهم منهم، وبيان نهاية كل أمة من تلك الأمم. وبهذا ينتهي **القسم الأول من الكتاب.**

والقسم الثاني: كتاب أخبار الماضين من بني اسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم (يبدأ من ١٠٢/٢) حسب النسخه المطبوعة بدار الفكر في بيروت سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

والقسم الثالث: كتاب أخبار العرب، (يبدأ من ١٥٦/٢) وينتهي بزواج عبد الله بن عبد المطلب من أمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ.

والقسم الرابع: كتاب سيرة رسول الله ﷺ (يبدأ من ٢٥٢/٢) وقد فصّل في موضوعات السيرة النبوية، وأطال النَّفس فيها، وجعلها في أقسام هي: المبتدأ من ولادة رسول الله حتى مبعثه، والمبعث حتى الهجرة، والغزوات والسرايا والوفود وحجة الوداع حتى مرضه ووفاته، واتبع الترتيب الحولي اعتباراً من السنة الأولى من الهجرة، ثم ترجمة للنبي ﷺ وبيان زوجاته، وكتابه، وحرسه، وفرسه، وملابسه ... الخ، ثم ختم الحديث عن سيرة النبي ﷺ بموضوعات من متعلقات السيرة النبوية هي: كتاب الشمائل (١١/٦) ثم كتاب دلائل النبوة (٦٥/٦) ثم تحدث عن الفضائل والخصائص (٢٥٧/٦).

والقسم الخامس: كتاب تاريخ الاسلام الأول من الحوادث الواقعة في الزمان، ووفيات المشاهير والأعيان.

وقد رتّبه على السنين، وابتدأ بالسنة الحادية عشرة من الهجرة (٦/٣٠١) وطريقته في هذا القسم أنه يورد الحوادث والوقائع في كل سنة، ثم يختم ذلك بذكر وفيات المشاهير والأعيان في تلك السنة، ويترجم لأكثرهم، وبعضهم يذكر وفاته فقط، وقد سار على هذا المنهج إلى آخر الكتاب ووقف عند سنة ٧٦٨هـ أي قبل وفاته بست سنوات.

والقسم السادس: كتاب الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان، وأشراط الساعة، والبعث والنشور، وصفة النار والجنة.

و لم يطبع هذا القسم مع الكتاب، وإنما طبع مستقلاً باسم: النهاية في الفتن والملاحم، مع أنه قد نص عليه في مقدمة الكتاب[١]، واعاد ذكره بعد نهاية حديثه عن السيرة النبوية[٢] وإليه الاشارة في اسم الكتاب ".... والنهاية".

منهجه ومصادره:

لقد اعتمد الحافظ ابن كثير في كتابه: ما ورد في الكتاب والسنة والآثار والأخبار المقبولة عند العلماء ورثة الأنبياء الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية"[٣].

قال: ولسنا نذكر من الإسرائيليات، إلا ما أذن الشارع في نقله، مما لايخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لايصدق ولا

(١) البداية والنهاية ١/٦.
(٢) المصدر السابق ٦/٣٠٠.
(٣) المصدر السابق ١/٦.

يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لافائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به لاعلى سبيل الاحتياج إليه، والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله، وما صح نقله أوحسن، وما كان فيه ضعف نبينه.[١] هذا منهجه في السيرة النبوية وما قبلها من أخبار الأنبياء، وكذلك في القسم الأخير (الفتن والملاحم) وهو الاعتماد على القرآن الكريم وما ورد في تفسيره مرفوعاً أو موقوفاً، وما وردت به السنة الصحيحة والحسنة، ويذكر ما فيه ضعف، ولكنه ينبه عليه غالباً، ويتميز منهجه بأنه يسوق الأحاديث والآثار بأسانيدها، ليتضح للقاريء والباحث أمرها، ويقرب عليه نقدها، ولا يذكر من الاسرائيليات إلا النوع المأذون في روايته، وما عداه فلا يذكره إلا على سبيل الانكار له.

وقد انتقد رحمه الله من يستوعب نقل الإسرائيليات من علماء الأمة فقال: ولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولانذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونبين ما فيه من حق، مما وافق ما عندنا، وما خالفه فوقع فيه الانكار"[٢].

فمصادرة في القسم الأول هي:

- القرآن الكريم، وكتب التفسير بالمأثور، وأسباب النزول.
- السنة المروية عن النبي ﷺ في الصحاح والسنن والمسانيد، والجوامع.

(١) المصدر السابق ٦/١.
(٢) المصدر السابق ٦/١.

- الأثار المروية عن الصحابة والتابعين.

- كما أن من موارده الكتب السابقة مثل، التوراة والانجيل، لكنه ينتقي من تلك الكتب - كما ذكر غير مرة - ما أُذِنَ لنا في روايته على لسان رسول الله ﷺ حدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[1].

ومن مصادره في قسم السيرة النبوية: كتب المغازي والدلائل، خاصة مغازي ابن اسحاق، وموسى ابن عقبة، ودلائل النبوة لأبي نعيم، ودلائل النبوة للبيهقي.

ونظراً لسعة اطلاعه وكثرة حفظه من السنة النبوية فإنه يكاد يكون قد استوعب ما في الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات، وكتب التفسير بالمأثور مما له علاقة بموضوعات السيرة النبوية.

أما مصادره في تاريخ الحوادث والوفيات فهي كتب التواريخ السابقة له، وخاصة كتاب تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ)، والمنتظم لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وكتاب الكامل لابن الأثير (٦٣٠هـ). واعتمد في العصرين الأيوبي والمملوكي على المؤرخين المعاصرين لهما مثل: كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ)، وكتاب الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، (٦/٤٩٦ مع فتح الباري).

لابن أنجب المعروف بابن الساعي (ت٦٧٤هـ)، وكتاب وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، وكتاب قطب الدين اليونيني (ت٧٣٦هـ) الذي ذيل به على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، وكتاب المقتفى في التاريخ وهو ذيل على تاريخ أبي شامة لعلم الدين القاسم البرزالي، (ت٧٣٩هـ).(١)

كما أنه استفاد من كتاب تاريخ الاسلام للذهبي (ت ٧٤٨هـ) خاصة في الوفيات والتراجم، كما أنه قد استفاد في تاريخ الفترة التى عاشها من مشاهداته ومشايخه، ومن الوثائق التى اطلع عليها، وقد كانت له عناية خاصة بأخبار شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ومناظراته وجهاده ومواقفه.

وثقافة ابن كثير الواسعة في العلوم الشرعية، واستقامة عقيدته وفكره ووجهته السنِّية، واضحة المعالم من خلال كتابه.

وهو نقاده لا مجرد نقال، يتخير النصوص والمواد التاريخية بعناية، ويلخص ويرتب، وينقد الأسانيد والمتون، ويعترض على الأقوال الخاطئة ويذكر رأيه بكل وضوح، وقد ينساق أحياناً وراء من سبقه من المؤلفين فيذكر ما قالوا مع عدم قناعته بكثير منه.(٢)

(١) انظر مسعود الرحمن الندوى - ابن كثير كمؤرخ ص١١٦-١٢١ و ١٣٦-١٣٩.
(٢) البداية والنهاية، ٢٠٢/٨.

الفصل الأول

ترجمته(*)

نسبه:

أبو بكر الصديق اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر[١] القرشي التيمي. يلتقى نسبه مع النبي ﷺ في مرة بن كعب بن لؤى.

وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم[٢] فهو تيمى الأب والأم.

يكنى والده بأبي قحافة، وكان الصديق يسمى فى الجاهلية عتيقاً. وذكر الطبري[٣] من طريق ابن لهيعة أن أولاد أبي قحافة ثلاثة هم: عتيق (أبو بكر) ومُعْتَق وعُتَيق (مصغراً).

صفته:

كان رجلاً نحيفاً خفيف اللحم أبيض[٤]، وقالت عائشة فى وصفه: رجل أبيض، نحيف، خفيف العارضين، أجنأ (لايستمسك إزاره يسترخي عن حقويه) معروق الوجه، غائر العينين، نأتئ الجبهة، عارى الأشاجع،

(*) لم يترجم ابن كثير للصديق وإنما أحال في كتاب البداية والنهاية (١٨/٧) على كتاب ألّفه في ترجمته وسيرته وأيامه وما روى من الحديث وما روي عنه من الأحكام. و لم أقف على ذلك الكتاب. فجمعت موجزاً في ترجمته من طبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، وصحيح البخاري، وهي من مصادر ابن كثير.

(١) طبقات ابن سعد ١٦٩/٣ وتاريخ الطبري ٤٢٥/٣.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) تاريخ الطبري ٤٢٥/٣.

(٤) طبقات ابن سعد ١٨٨/٣.

وكان يخضب لحيته بالحناء والكتم[١]. هذه صفة خَلْقه، أما خلقه ﷺ فقد كان كريماً شجاعاً ثابتاً ذا رأي سديد في المواقف العظام، سمحاً صبوراً، قوي العزيمة، فقيها، عالماً بالأنساب والأخبار، شديد التوكل على الله والثقة بوعده، ورعاً متباعداً عن الشبهات، زاهداً فى الدنيا راغباً فيما عند الله، إلفاً مُؤْلفاً ﷺ وأرضاه. وسيأتي فى فضائله ما يدل على هذه الأخلاق الكريمة.

إسلامه:

كان أبو بكر الصديق أول الرجال إسلاماً، وسبقته خديجة، وكان علي ﷺ أول الصبيان إسلاماً، وكذا زيد بن حارثه أول الموالى إسلاماً، وكان إسلام أبي بكر أعظم منفعة للإسلام والمسلمين من إسلام غيره، لمكانته وجِدّه فى الدعوة[٢] حيث أسلم باسلامه عدد كثير من المشاهير مثل عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدا لله.

وقد كان يوم أسلم عنده أربعون ألف درهم أنفقها فى سبيل الله[٣].

وأعتق عدداً من العبيد المستضعفين الذين كانوا يعذبون فى سبيل الله مثل بلال ﷺ، وقد لازم رسول الله فى مكة، وكان صاحبه فى الغار وفي

(١) المصدر السابق ١/١٨٨. وقريباً منه ما في الطبري ٣/٥٢٤.
(٢) راجع البداية والنهاية ٣-٢٦-٣٢.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/١٧٢.

الهجرة ثم في المدينة، وحضر مشاهده كلها بدرا وأحدا والخندق والفتح وحنين وتبوك.

زوجاته وأولاده[١]:

* تزوج ابو بكر في الجاهلية قُتَيلةَ بنت عبد العزى بن عبد بن أسعد.

فولدت له: عبدا لله، وأسماء.

* وتزوج أيضاً أم رُومَان بنت عامر بن عويمر بن ذُهَل بن دهمان من كنانة. فولدت له: عبد الرحمن، وعائشة.

* وتزوج أسماء بنت عُمَيس بن مَعَدّ بن تيم الخثعمية، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب، فولدت له: محمد بن أبي بكر، وكان ذلك فى حجة الوداع فى ميقات ذى الحليفة.

* وتزوج حبيبة بنت خارجه بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج.

وكان أبو بكر قد نزل على خارجة لما قدم المدينة فتزوج ابنته، ولم يزل فيهم بالسُّنُح[٢] حتى توفي رسول الله ﷺ وولي الخلافة.

فولدت له: أمَّ كلثوم بعد وفاته رضي الله عنه.

(١) انظر طبقات ابن سعد ١٦٩/٣، ١٧٤، وتاريخ الطبري ٤٢٦/٣.

(٢) اسم موضع بعوالي المدينة وهي منازل بنو الحارث بن الخزرج (معجم البلدان ٢٦٥/٣).

بعض فضائله ومناقبه:

فضائل الصديق ﷺ كثيرة وقد روت كتب السنة، وكتب التراجم والتواريخ، الجم الغفير منها ولكن سأقتصر هنا على ما ذكره الإمام الحافظ أبو عبد الله البخاري فى صحيحه من مناقب الصديق فى كتاب فضائل الصحابة[1].

صاحب رسول الله في الغار وفي الهجرة:

قال الله تعالى: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى إثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾ الأية... [سورة التوبة: أية ٤٠].

قالت عائشة، وأبو سعيد، وابن عباس ﷺ، كان أبو بكر مع النبي ﷺ فى الغار.

وعن البراء بن عازب قال "اشترى أبو بكر ﷺ من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إليّ رحلى، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوى إليه، فاذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم

(١) انظر صحيح البخاري ٤/١٨٩-١٩٧ (طبعة استانبول سنة ١٩٧٩م).

قلت له: اضطجع يانبي الله فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلقت أنظر ما حولى: هل أرى من الطلب أحداً؟ فاذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردناه، فسألته فقلت له: لمن أنت ياغلام؟ فقال لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لى كُثْبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يارسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يارسول الله، قال: بلى. فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرسٍ له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يارسول الله، فقال: لا تحزن، إن الله معنا".

وعن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال "قلت للنبي ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما.

أبو بكر أعلم الصحابة:

عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله فى الناس وقال: إن الله خَيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبوبكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبدٍ خيرا، فكان

رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله: إن من أمن الناس علي فى صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبو بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب الا سد إلا باب أبي بكر.

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ "أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل: يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت وقال عمر: والله ما كان يقع فى نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً، والذى نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رِسْلِك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر. فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا مَنْ كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت وقال: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [سورةالزمر: ٣٠].وقال: ﴿**وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزى الله الشاكرين**﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] قال فنشج الناس يبكون، قال واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت كلاماً أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبوبكر. ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء وأنتم

الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبوبكر: لا، ولكنا الامراء وأنتم الوزراء. هم أو سط العرب دارا واعربهم أحسابا، فبَايِعُوا عمر أو أباعبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فانت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس."

وعن عائشة رضي الله عنها قالت "شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: فى الرفيق الأعلى (ثلاثا) وقص الحديث. قالت: فما كان من خطبتهما خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمرُ الناسَ وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك. ثم لقد بَصّر أبو بكر الناسَ الهدى، وعرفهم الحق الذى عليهم، وخرجوا به يتلون ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ إلى ... الشاكرين.

أبو بكر أفضل الصحابة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس فى زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

وعن محمد بن الحنفيه قال: قلت لأبي: أي الناس خيرُ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبوبكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

منزلته عند رسول الله:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذا خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخى وصاحبي.

وعن عبدالله بن أبي مليكة قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير فى الجد فقال: أما الذى قال رسول الله ﷺ "لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذته" أنزله أباً. يعني أبا بكر.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر"

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت و لم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال ﷺ إن لم تجديني فأتي أبا بكر.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ اقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر، فسلّم وقال: يا رسول الله، إنى كان بيني وبين ابن الخطاب شئ، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسالته أن يغفر لى فأبى علَىّ، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً). ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى إلى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يارسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين). فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم، فقلتم:

كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبي؟ (مرتين). فما أوذى بعدها".

قدم اسلامه وملازمته رسول الله:

عن وبرة بن عبد الرحمن عن همام قال سمعت عماراً يقول "رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر".

أحب الناس الى رسول الله:

عن أبي عثمان قال "حدثني عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة؟ فقلت من الرجال؟ قال: أبوها. قلت ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا".

قوة ايمان أبي بكر وصدقه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إنى لم أخلق لهذا، ولكنى خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله، قال النبي ﷺ: فإنى أو من بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب. رضي الله عنهما".

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إن أحد

شقى ثوبي يسترخى، إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خيلاء".

هِمّةُ الصديق العاليه:

عن أبي هريرة قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من شئ من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب - يعني الجنة - ياعبدالله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام وباب الريان. فقال أبو بكر:ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرروة.وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجوأن تكون منهم يا أبا بكر".

بركة الصديق وآل بيته:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت "خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فأتى الناس أبا بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع راسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت فعاتبني

وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده فى خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسولِ الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم ﴿فتيمموا﴾ [سورة النساء: ٤٣]، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته".

تبشيره بالجنة:

وعن سعيد بن المسيب قال "أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا. قال فجاء المسجد فسال عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجّه ها هنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب ـ وبابها من جريد ـ حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه، فاذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قُفّها وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بَوّاب رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت من هذا؟ فقال: أبو بكر فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فاقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة. فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القُفّ ودلّى رجليه فى البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ..... الحديث.

وعن قتادة أن أنس بن مالك ﷺ حدثهم "أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فان عليك نبي وصديق وشهيدان".

مدافعته عن رسول الله:

عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداء في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه فقال ﴿**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**﴾ [سورة غافر: ٢٨].

أعماله رضي الله عنه:

كان الصديق رضي الله عنه أول الرجال اسلاماً، ثم لازم رسول الله طيلة حياته في مكة والمدينة فهو صاحبه ومستشاره ووزيره، وقد أسلم على يد الصديق عدد من كبار الصحابة أمثال، عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله[1].

ووقف الى جانب رسول الله في كل موقف ودافع عنه بنفسه وأعتق عدداً من العبيد الذين كانوا يعذبون على اسلامهم مثل بلال، وعامر بن فهيرة، وأمِّ عُبَيس، وزِنّيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بنى مؤَمّل[2].

وصحب رسول الله في الهجرة، وحضر كافة المشاهد معه، بدر، وأحد والخندق، والحديبية، والفتح، وحنين، وتبوك وغيرها من المشاهد العظام.

وبعد توليه الخلافة تحمّل كامل مسؤليات الدولة الاسلامية والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبرز أعماله:

١ - الأمر بتجهيز رسول الله ﷺ ودفنه.

٢ - تنفيذ جيش أسامة الذى جهزه رسول الله ﷺ قبل وفاته كما سيأتي تفصيله.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ١/٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، ١/٣٩٣.

٣ - جمع الصحابة على رأي واحد في مواجهة الردة والاستعداد لذلك بكل الوسائل، ثم إرسال الجيوش لقتال المرتدين في عقر دارهم.

٤ - قال ابن كثير: وفي سنة ١٢هـ أمر الصديق زيد بن ثابت، أن يجمع القرآن من اللّخاف، والعُسُبِ، وصدور الرجال، وذلك بعدما استحر القتل في القراء يوم اليمامة، كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري[١]. قال البخاري[٢]: باب جمع القرآن ثم ساق اسناده إلى ابن شهاب عن عبيد بن السبّاق، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتلَ أهلِ اليمامة، فإذا عمرُ بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال إن القتلَ قد استحرّ يومَ اليمامة بقراءِ القرآن، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمرَ بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هذا والله خيرُ. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذى رأى عمر.

قال زيد قال أبو بكر: إنك رجل شابّ عاقل لانتهِمُكَ، وقد كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو

(١) البداية والنهاية، ٣٥٣/٦.

(٢) انظر ابن حجر، فتح الباري، (١٠/٩) كتاب فضائل القرآن. وأبو خزيمة الأنصاري المذكور في الحديث الأول هو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري ذا الشهادتين، كما بين ذلك الحافظ بن حجر في شرحه للحديث - (١٥/٩).

كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خيرٌ فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبعت القرآنَ أجمعُهُ من العُسُب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت أخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصَاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿**لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكم عزيزٌ عليه ما عنتم**﴾ حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه.

- ثم قال البخاري: قال ابن شهاب، واخبرنى خارجة بن زيد ابن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: فقدت أية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" فالحقناها في سورتها في المصحف.

٥ - بعث الجيوش لنشر دين الله الى من يليهم من أهل فارس والشام تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا أن الله مع المتقين**﴾ [سورة التوبة أية: ١٢٣] كما سيأتي تفصيله في الفصلين الرابع والخامس.

قُضَاتُه وكُتّابه وعُمّاله على الصدقات:

لما استخلِفَ الصديق رضي الله عنه وكان رجلاً يكسب من تجارته ذهب إلى السوق كما كان يفعل قبل الخلافة، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة فقالا له: إن هذا أمر لا يصلح وقد تحملت ما تحملت، فقال الصديق: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وماكسوه في الرأس والبطن، وقال عمر: إليّ القضاء. وقال أبو عبيدة: وإليّ الفيء. قال عمر: فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان[1].

وكان يكتب له زيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، ويكتب له من حضر.

وكان عامله على مكة: عتاب بن أسيد، وعلى الطائف: عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء: المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضر موت: زياد ابن لبيد، وعلى خولان: يعلى بن أمية. وعلى زبيد ورِمَع[2]: أبو موسى الأشعرى، وعلى الجَنَد[3]: معاذ بن جبل، وعلى البحرين: العلاء بن الحضرمي، وبعث جرير بن عبدا لله البجلي إلى نجران وبعث عبدا لله بن ثور

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١٨٤/٣ باسناد رجاله ثقات إلا أنه مرسل. وذكر روايات أخرى تشهد له. وقول عمر: إلىّ القضاء وأبو عبيدة: إلىّ الفيء، له شاهد، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨٧/١. وقال الحافظ في الفتح ١٢٩/١٣ سنده قوي.

(٢) رِمَع: بكسر أوله وفتح ثانيه اسم واد في اليمن بجوار وادى زبيد وفي أسفل رمع موضع الماء الذى كان يسمى غسان.(معجم البلدان ٦٨/٣).

(٣) الجند: بالتحريك، هو أحد مخاليف اليمن وكان مقر الوالي به (معجم البلدان ١٦٩/٢).

أحد بني الغوث إلى ناحية جُرَش[١]، وبعث عياض بن غَنْم الفهري إلى دُومة الجندل، وكان بالشام أبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص كل رجل منهم على جُنْد وعليهم جميعاً خالد ابن الوليد[٢].

ولم يتخذ بيت مال مستقل وإنما كان حجرة في منزله بالسنح، ولما قال له الصحابة، الا تتخذ حارساً؟ قال: لا يُخَافُ عليه إن عليه قفلاً. ثم لما انتقل إلى داره التى بجوار المسجد النبوي نقل بيت المال معه، ولما توفي جاء عمر بالأمناء ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً[٣].

وفاته وعمره:

قال الحافظ ابن كثير[٤]: كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الأثنين عشية، وقيل بعد المغرب (ليلة الثلاثاء) ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة، بعد أن مرض خمسة عشر يوماً، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذى كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا[٥].

---

(١) جرش: بضم أوله وفتح ثانيه من مخاليف اليمن من جهة مكة وكانت مدينة عظيمة وولاية واسعة. (معجم البلدان ١٢٦/٢)

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤٢٦/٣ وما بعدها.

(٣) طبقات ابن سعد ٢٠٣/٣.

(٤) البداية والنهاية ١٨/٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٢٠٢/٣ وتاريخ الطبري ٤٢٠/٣.

فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر[١]، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة[٢]، للسن الذى توفي فيه رسول الله ﷺ، وقد جمع الله بينهما في التُّربة كما جمع بينهما في الحياة فرضي الله عنه وأرضاه. ا - هـ.

وقد أوصى رضي الله عنه بخُمْسِ ماله وقال: آخذ من مالي ما اخذه الله من فئ المسلمين[٣].

ولما اشتد به المرض قيل له: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال إني فّعال لما أُريد[٤].

وكان سبب مرضه ووفاته، أنه أكل هو والحارث - الطبيب المشهور - من خزيرة[٥] أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك ياخليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة فرفع يده. ولم يزالا عليلين حتى ماتا بعد سنة[٦].

وقيل: اغتسل في يوم بارد فاصابته حمى مات منها.

وكان في مرضه يتمثل بهذا البيت:

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢٠٢/٣ وتاريخ الطبرى ٤٢٠/٣ وقد زاد في مدة خلافته عشر ليال. وكأن ابن كثير حذف الليالي. وقد ذكر ابن سعد أقوالاً أخرى.

(٢) قال ابن سعد:وهو مجمع عليه (٢٠٢/٣).

(٣) طبقات ابن سعد ١٩٤/٣.

(٤) المصدر السابق ١٩٨/٣.

(٥) هي اللحم الغابُّ، الذي مضى عليه يوم، يخلط مع الدقيق بعد أن يمات طبخاً (اللسان ٢٣٧/٤).

(٦) الطبقات الكبرى ١٩٨/٣.

لا تزال تنعي حبيباً حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه[١]

وفى نزع الموت قالت ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها متمثلة بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان وقال: ليس كذلك يا أم المؤمنين ولكن: ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾[٢].

وقال في وصيته لعائشة: إنى لا أعلم عند أبي بكر من هذا المال شيئاً غير هذه اللّقْحَة، وغير هذا الغلام الصيقل، كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا، فإذا مت فادفعيه إلى عمر فلما دفعته إلى عمر قال: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[٣].

ودخل عليه سلمان الفارسي فقال: يا خليفة رسول الله اعهد إلي فإني لا أراك تعهد إليّ بعد يومي هذا، قال: أجل. ياسلمان: إنها ستكون فتوح فلا أعرفَنّ ما كان من حظك منها ما جعلتَ في بطنِكَ أو ألقيتَه على ظهرك، واعلم أنه من صلّى الصلوات الخمس فإنه يصبح فى ذمة الله ويمسى فى ذمة الله، فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته فيكبك الله على وجهك فى النار"[٤].

---

(١) المصدر نفسه ١٩٨/٣.

(٢) المصدر نفسه ١٩٦/٣. والأية من سورة ق رقم ١٩.

(٣) المصدر نفسه ١٩٢/٣ باسناد صحيح.

(٤) المصدر نفسه ١٩٣/٣ باسناد لا بأس به.

وذكر ابن سعد باسناده عن القاسم بن محمد قال: كُفِّن أبو بكر في ريطتين، ريطة بيضاء، وريطة ممصّرة، وقال: الحي أحوج إلى الكسوة من الميت، انما هو لما يخرج من أنفه وفيه[١].

ودفن رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في الحجرة، وصلى عليه عمر بن الخطاب. وكان قد أمّره النبي صلى وسلم على الحج سنة تسع من الهجرة وكانت أول حجة في الاسلام، ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع، ولما استُخلِف أبو بكر استعمل عمر على الحج سنة أحد عشر ثم حج من قابل[٢].

(١) المصدر نفسه ٢٠٤/٣ باسناد صحيح. وذكر روايات أخرى حول ذلك.
(٢) المصدر نفسه ١٧٧/٣.

الفصل الثاني

استخلافه

خطبة رسول الله ﷺ قبل وفاته بخمسة أيام:

خطب عليه الصلاة والسلام في يوم الخميس قبل أن يقبض عليه السلام بخمسة أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم، ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه السلام بين يدي هذه الخطبة الكريمة ثم خرج فصلى بالناس ثم خطبهم.

فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد فاستغفر لهم ودعا لهم. ثم قال: يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد وإنهم عيبتي التي أويت اليها، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم. ثم قال عليه السلام: أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله، ففهمها أبو بكر رضي الله عنه من بين الناس فبكى. وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا. فقال رسول الله ﷺ على رسلك يا أبابكر؟ انظروا الى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدوها الا ما كان من بيت أبي بكر فاني لا أعلم أحداً عندي أفضل في الصحبة منه(١).

وقال الامام أحمد: حدثنا أبو عامر ثنا فليح عن سالم أبي النضر عن بسر ابن سعيد عن أبي سعيد. قال خطب رسول الله الناس فقال: إن الله خير عبداً

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١٧٧/٧ من حديث يونس بن بكير عن أبي اسحاق عن أيوب بن بشير. وقال عقبه: وهذا وإن كان مرسلاً ففيه ما في حديث ابن عباس من تاريخ هذة الخطبة وأنها كانت بعدما اغتسل، ليعهد إلى الناس، وينعى نفسه إليهم. وقال ابن كثير ٢٢٩/٥: هذا مرسل وله شواهد كثيرة.

بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله قال: فبكى أبو بكر، قال فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد، فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به.

فقال رسول الله: إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خُلّة الاسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر(١). وهكذا رواه البخاري من حديث أبي عامر العقدى به(٢).

وقد رواه البخاري أيضاً من حديث عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الغسيل عن عكرمة عن ابن عباس. أن رسول الله خرج في مرضه الذى مات فيه عاصباً راسه بعصابة دسماء ملتحفا بملحفة على منكبيه فجلس على المنبر فذكر الخطبة، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن. قال: فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله ﷺ حتى قبض - يعنى آخر خطبة خطبها عليه السلام(٣).

- ذكر أمره عليه السلام أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلى بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروجه عليه السلام فصلى وراءه مقتدياً به فى بعض الصلوات:

قال الامام أحمد: ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن اسحاق قال. وقال ابن شهاب الزهرى: حدثنى عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

(١) مسند أحمد ١٨/٣.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الفضائل باب سد الأبواب .. (١٢/٧ من فتح الباري).
(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٦٢٨/٦) من فتح الباري.

ابن هشام عن أبيه عن عبدالله بن زَمْعَة بن الاسود بن المطلب بن أسد قال: لما استُعِزَّ[١] برسول الله وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعا بلال للصلاة. فقال: مروا من يصلي بالناس. قال فخرجت فاذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً فقلت: قم ياعمر فصل بالناس. قال فقام فلما كبر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلاً مِجْهرَاً. فقال رسول الله: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون يأبى الله ذلك والمسلمون. قال: فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس. وقال عبدالله ابن زمعة. قال لي عمر: ويحك ماذا صنعت يا ابن زَمْعَة؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله أمرني بذلك، ولولا ذلك ما صليت. قال قلت: والله ما أمرني رسول الله، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة[٢]. وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن اسحاق حدثني الزهري[٣]. ورواه يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن عبدالله بن زمعة فذكره[٤].

وقال أبو داود: ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن أبي فُدَيكٍ حدثني موسى ابن يعقوب عن عبد الرحمن بن اسحاق عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أن عبدالله بن زَمْعَة أخبره بهذا الخبر. قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر، قال ابن زَمْعَة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من

(١) استعز: أي غلبه المرض حتى عجز عن القيام.
(٢) مسند أحمد ٣٢٢/٤.
(٣) أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب في استخلاف أبي بكر ٤٧/٥ حديث رقم ٤٦٦٠.
(٤) السيرة النبوية ٦٥٢/٢.

حجرته ثم قال: لا، لا، لا يصلى للناس ابن أبي قحافة، يقول ذلك مغضبا[١].

وقال البخاري: ثنا عمر بن حفص ثنا أبى ثنا الأعمش عن ابراهيم. قال الأسود كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها. قالت لما مرض النبي ﷺ مرضه الذى مات فيه فحضرت الصلاة فأذن بلال. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقيل له إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس، وأعاد، فأعادوا له، فأعاد الثالثة. فقال: إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس. فخرج أبو بكر. فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأنى أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك. ثم أُتِى به حتى جلس إلى جنبه.

قيل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلى وأبو بكر يصلى بصلاته والناس يصلون بصلاة أبى بكر. فقال برأسه نعم[٢] وقد رواه البخاري في غير ما موضع من كتابه، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، من طرق متعددة عن الأعمش به.

منها مارواه البخاري عن قتيبة، ومسلم، عن أبى بكر بن أبى شيبة، ويحي بن يحي عن أبى معاوية به[٣].

---

(١) السنن ٤٨/٥ حديث رقم ٤٦٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة ١٦١/١ ط تركيا.

(٣) صحيح مسلم برقم ٩٥، ٩٦، ٩٧ من كتاب الصلاة (٣١٣/١).

وقال البخاري: ثنا عبدا لله بن يوسف أنبأنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت إن رسول الله ﷺ. قال فى مرضه: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قال ابن شهاب: فأخبرني عبيد الله بن عبدا لله عن عائشة أنها قالت: لقد عاودت رسول الله فى ذلك وما حملنى على معاودته إلا أنى خشيت أن يتشاءم الناس بأبى بكر، وإلا أنى علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبي بكر إلى غيره(١).

وفى الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي بردة عن أبى موسى عن أبيه. قال مرض رسول الله ﷺ فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقم مقامك لا يستطيع يصلى بالناس. قال فقال: مروا ابا بكر يصل بالناس فإنكن صواحب يوسف: قال فصلّى أبو بكر حياة الرسول ﷺ (٢).

وقال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدى أنبأنا زائدة عن موسى بن أبى عائشة عن عبيد الله بن عبدا لله. قال دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ فقالت: بلى اثقل برسول الله ﷺ وجعه فقال: أصلى الناس؟ قلنا لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال صبوا لى

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله ووفاته (٨/١٤٠ من فتح الباري).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٢/١٦٤ من فتح الباري) وصحيح مسلم برقم ١٠١ من كتاب الصلاة ١/٣١٦.

ماء فى المخضب[١]، ففعلنا، قالت: فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا لا، هم ينتظرونك يارسول الله. قال ضعوا لى ماء فى المخضب، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم افاق فقال: أصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله قالت والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقا. فقال: ياعمر صل بالناس فقال أنت أحق بذلك فصلى بهم تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه فجعل أبو بكر يصلى قائماً ورسول الله ﷺ قاعداً. قال عبيد الله: فدخلت على ابن عباس فقلت: الا اعرض عليك ما حدثتنى عائشة عن مرض رسول الله، قال: هات، فحدثته فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال: سمت لك الرجل الذى كان مع العباس؟ قلت لا، قال: هو علي[٢].

قال البخاري فى صحيحه: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهرى أخبرني أنس بن مالك وكان تبع النبي ﷺ وخدمه وصحبه أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع النبي ﷺ الذى توفى فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا

---

[١] المخضب: الإناء الذي يغتسل فيه.

(٢) مسند أحمد ٢٢٩/٢١ من الفتح الرباني وانظر صحيح مسلم برقم ٩٠ من كتاب الصلاة ٣١١/١، وصحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حَدّ المريض أن يشهد الجماعة ١٦١/١ ط تركيا.

وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر(١).

وتوفى من يومه ﷺ. وقد رواه مسلم(٢) من حديث سفيان بن عيينة، وصبيح ابن كيسان، ومعمر، عن الزهرى عن أنس.

ثم قال البخارى: ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك. قال: لم يخرج النبي ﷺ ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبى الله عليكم بالحجاب فرفعه، فلما وَضَحَ وجْهُ النبيّ ﷺ ما رأينا منظراً كان اعجب الينا من وجه النبي ﷺ حين وضَحَ لنا. فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبى بكر أن يتقدم وأرخى النبيُّ ﷺ الحجابَ فلم يُقْدَر عليه حتى مات ﷺ (٣) ورواه مسلم(٤) من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه به.

فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس، وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثا. قلنا فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر كما جاء مصرحا به فى حديث عائشة المتقدم، ويكون ذلك يوم الخميس، لا يوم السبت، ولا يوم الأحد، كما حكاه البيهقي عن مغازى

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله ووفاته (١٤٣/٨ من فتح الباري).

(٢) صحيح مسلم برقم ٩٨ من كتاب الصلاة ٣١٥/١.

(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ١٦٦/١.

(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٠) من كتاب الصلاة ٣١٥/١.

موسى بن عقبة وهو ضعيف[١]، ولِماَ قَدّمنا من خطبته بعدها، ولانه انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل.

وقال الزهرى عن أبى بكر بن أبى سَبُرة[٢]. أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة. وقال غيره: عشرين صلاة فا لله أعلم. ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين فودعهم بنظرة كادوا يفتنون بها، ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به. والمقصود أن رسول ا لله ﷺ قدم أبا بكر الصديق إماما للصحابة كلهم فى الصلاة التى هى أكبر اركان الإسلام العملية.

قال الشيخ أبو الحسن الاشعرى: وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام. قال: وتقديمه له دليل على أنه أعْلَمُ الصحابة واقرؤهم، لما ثبت فى الخبر المتفق على صحته بين العلماء، أن رسول ا لله ﷺ قال: يؤم القوم اقرؤهم لكتاب ا لله، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا فى السنة سواء فأكبرهم سنا، فإن كانوا فى السن سواء فأقدمهم مسلما[٣].

قال ابن كثير: وهذا من كلام الاشعرى رحمه ا لله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب. ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها فى الصديق رضي الله عنه وأرضاه. وصلاة

---

(١) انظر دلائل النبوة ١٩٣/٧.

(٢) أبو بكر بن أبي سبرة هو أحد المتروكين. وإذا حسبنا على ما رَجّحه ابن كثير نجد أن أبا بكر قد صلىّ بهم تسع عشرة صلاة، صلاة العصر والمغرب والعشاء من يوم الخميس وثلاثة أيام كوامل (الجمعة والسبت والأحد) وفجر يوم الاثنين.

(٣) انظر رسالة الإبانة ص٦٧ فقد ذكر نحو هذا الكلام. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث رقم ٦٧٢، وله شاهد في صحيح البخاري من حديث مالك بن الحويرث، كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم (١٧٠/٢ من فتح الباري).

الرسول ﷺ خلفه فى بعض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا ينافى ما روى فى الصحيح أن أبا بكر ائتم به عليه السلام[١] لأن ذلك فى صلاة أخرى كما نص على ذلك الشافعى وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل.

شُبْهَة ورَدُّها:

قال البخاري ثنا قتيبة ثنا سفيان عن سليمان الاحول عن سعيد بن جبير. قال، قال ابن عباس: يوم الخميس ومايوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه.

فقال: ائتونى أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ــ ولا ينبغى عند نبى تنازع ـ فقالوا: ماشأنه يهجر استفهموه، فذهبوا يردون عليه. فقال: دعوني فالذى انا فيه خير مما تدعونى إليه فأوصاهم بثلاث. قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها[٢]. ورواه البخاري فى موضع آخر، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة[٣] وقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه من حديث معمر ويونس عن الزهري به[٤].

وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم كل مدع أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمون اليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسك بالمتشابه. وترك المحكم، وأهل

---

(١) انظر ما تقدم قريبا ص٣٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله (ووفاته ١٣٢/٨ من الفتح).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد (١٧٠/٦ من الفتح). وصحيح مسلم، كتاب الوصية حديث رقم (١٦٣٧).

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم (٢٠٨/١ من الفتح) وكتاب المغازي، باب مرض رسول الله (١٣٢/٨ من الفتح).

السنة يأخذون بالمحكم، ويردون ما تشابه اليه، وهـذه طريقـة الراسـخين في العلم كما وصفهم الله عز وجل في كتابه، وهذا الموضع ممـا زَلّ فيـه اقـدام كثير من أهل الضلالات، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتبـاع الحـق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريـد عليـه الصـلاة والسـلام أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه، فإنه قـد قال الامام أحمد: حدثنا مؤمل ثنا نافع يعني ابن عمر ثنا ابن أبي مليكة عـن عائشة قالت: لما كان وجع رسول الله ﷺ الذي قبض فيه قـال "ادعـو لي أبا بكر وابنه لكي لا يطمع في أمر أبـي بكـر طـامع ولا يتمنـاه متمـن. ثـم قال: يـأبي الله ذلـك والمؤمنـون". مرتـين. قـالت عائشـة: فـأبى الله ذلـك والمؤمنون (إلا أن يكون أبي، فكان أبي) انفرد به أحمد من هذا الوجه[1].

وروى البخاري عن يحي بن يحي عن سليمان بن بلال عـن يحـي بـن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة. قالت: قال رسول الله: لقد هممت أن أرسل الى أبى بكر وابنه، فأعهد أن يقـول القـائلون أو يتمنـى متمنـون. فقال: يأبى الله - أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون[2].

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث ابراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. قال: أتت امرأة الى رسـول الله ﷺ فأمرهـا أن ترجـع اليه. فقالت: أرأيت أن جئت و لم أجدك - كأنها تقول الموت - قال: "إن لم تجديني

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل (٢٢٨/٥) واستدرك من مسند أحمـد ١٠٦/٦ وأخرجـه من وجه آخر ٤٧/٦.

(٢) صحيح البخاري، كتـاب الأحكـام، بـاب الإسـتخلاف (٣٠٥/١٣ مـن الفتـح). وهـو في مسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة به نحوه برقم (٢٣٨٧).

فأتي أبا بكر"[١]. والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه السلام في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه.

(١) صحيح البخاري كتاب "الفضائل"، باب فضل أبي بكر (١٧/٧ من الفتح) وصحيح مسلم كتاب الفضائل برقم (٢٣٨٦).

وفاة رسول الله ﷺ وأثر ذلك على المؤمنين:

قال الامام أحمد: حدثنا بهز ثنا حماد بن سلمة أنبأنا أبو عمران الجوني عن يزيد ابن بابنوس. قال: ذهبت أنا وصاحب لي الى عائشة فاستأذنا عليها فألقت لنا وسادة وجذبت إليها الحجاب، فقال صاحبي: يا أم المؤمنين ما تقولين في العِرَاك؟ قالت: وما العراك؟ فضربتُ منكب صاحبي، قالت: مه أذيت أخاك. ثم قالت: ما العراك؟ المحيض، قولوا ما قال الله عز وجل في المحيض. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ يتوشحني وينال من رأسي وبيني وبينه ثوب وأنا حائض. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مر ببابي مما يلقي الكلمة ينفعني الله بها، فمر ذات يوم فلم يقل شيئا ثم مر فلم يقل شيئا، مرتين أو ثلاثا، فقلت: يا جارية ضعي لي وسادة على الباب، وعصبت رأسي فَمَرّ بي. فقال: يا عائشة ما شأنك؟ فقلت: أشتكي رأسي. فقال: أنا وارأساه فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولا في كساء فدخل علي وبعث الى النساء فقال: إني قد اشتكيت وإني لا أستطيع أن ادور بينكن فأذنّ لي فلأكُنْ عند عائشة، فكنت أمرضه و لم أمرض احدا قبله، فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجَتْ من فيه نقطة باردة فوقعت على نقرة نحري فاقشعَرّ لها جلدي، فظننت أنه غشي عليه، فسجيته ثوباً. فجاء عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا، فأذنت لهما، وجذبت إلىّ الحجاب فنظر عمر اليه فقال: واغشياه ما أشد غشي رسول الله ﷺ، ثم قام فلما دَنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر، مات رسول الله ﷺ، فقال: كذبت، بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله

المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر، فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال: إنا لله وإنا اليه راجعون، مات رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل رأسه، فحدرفَاهُ فَقَبّل جبهته، ثم قال: وانبياه ثم رفع رأسه فحدرفاه وقَبّل جبهته ثم قال: واصفياه ثم رفع رأسه وحدرفاه وقَبّل جبهته وقال: واخليلاه مات رسول الله ﷺ، وخرج الى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله لا يموت حتى يفنى الله المنافقين.

فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله يقول: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [سورة الزمر: ٣٠] حتى فرغ من الآية، ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه**﴾ [آل عمران: ١٤٤] حتى فرغ من الآية ثم قال: فمن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. فقال عمر: أَوَ أنّها فى كتاب الله؟ ما شعرت أنها فى كتاب الله، ثم قال عمر: يا أيها الناس هذا أبو بكر وهو ذو شيبة المسلمين فبايعوه فبايعوه(١). وقد روى أبو داود، والترمذي فى الشمائل من حديث مرحوم ابن عبد العزيز العطار عن أبي عمران الجونى به ببعضه(٢).

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن اسحاق أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان ثنا يحي بن بكير ثنا الليث عن عُقَيل عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة عن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته:

---

(١) انظر الفتح الرباني ٢١/٢٢٣.

(٢) سنن أبي داود برقم ٢١٣٧ (٢/٦٠٢) باسناده عن مرحوم العطار عن أبي عمران الجوني به مختصراً. ومختصر الشمائل المحمديه للترمذي ص١٩٦ حديث رقم ٣٢٨ ببعضه، وقال الشيخ الألباني حديث حسن. وانظر الطبقات الكبرى ٢/٢٦٧.

أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله ﷺ وهو مسجّى ببرد حِبْرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبّله ثم بكى. ثم قال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً، أما الموتة التى كتبت عليك فقدمُتَّها(١).

قال الزهرى: وحدثنى أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس. فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس. فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس. فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما سُمِع بشر من الناس إلا يتلوها(٢).

قال الزهري: وأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعقرت حتى ما تقلني رجلاى وحتى هويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات. ورواه البخاري عن يحي ابن بكير به(٣).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من طريق يحيى بن بكير به (١٤٥/٨ من الفتح) وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢١٥/٧.

(٢) صحيح البخاري (١٤٥/٨ من الفتح). وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢١٦/٧.

(٣) صحيح البخاري (١٤٥/٨ من الفتح). وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢١٦/٧.

تَنْبِيهُ:

ذكر الواقدى عن شيوخه قالوا: ولما شُكّ فى موت النبي ﷺ فقال بعضهم مات وقال بعضهم لم يمت، وضعت أسماء بنت عُمَيس يدها بين كتفى رسول الله ﷺ. فقالت: قد توفي رسول الله ﷺ، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه، فكان هذا الذى قد عرف به موته. هكذا أورده الحافظ البيهقي فى كتابه دلائل النبوة[1] من طريق الواقدى، وهو ضعيف، وشيوخه لم يسمون، ثم هو منقطع بكل حال، ومخالف لما صح، وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم.

وقد ذكر الواقدى وغيره فى الوفاة أخباراً كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة اضربنا عن أكثرها صفحاً لضعف أسانيدها ونكارة متونها ولا سيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم، فكثير منه موضوع لا محالة، وفى الاحاديث الصحيحة والحسنة المروية فى الكتب المشهورة غُنْية عن الأكاذيب ومالايعرف سنده.

(١) انظر ٢١٩/٧.

ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه:

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الاسلام وأهله بيعة أبى بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق رضي الله عنه قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع، وكشف ستر الحُجْرة ونظر إلى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة خلف أبى بكر فأعجبه ذلك وتبسّم صلوات الله وسلامه عليه حتى هَمّ المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به، وحتى أراد أبوبكر أن يتأخر ليصل الصف، فأشار اليهم أن يمكثوا كما هم، وأرخى الستارة، وكان آخر العهد به عليه السلام. فلما انصرف أبو بكر رضي الله عنه من الصلاة دخل عليه، وقال لعائشة: ما ارى رسول الله ﷺ إلا أقلع عنه الوجع وهذا يوم بنت خارجة، يعنى إحدى زوجتيه وكانت ساكنة بالسُّنح شرقي المدينة، فركب على فرس له وذهب إلى منزله، وتوفى رسول الله ﷺحين اشتد الضُّحَى من ذلك اليوم، وقيل عند زوال الشمس. والله أعلم.

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم، فمن قائل يقول: مات رسول الله ﷺ. ومن قائل يقول: لم يمت. فذهب سالم بن عبيد[1] وراء الصديق إلى السنح فاعلمه بموت رسول الله ﷺ، فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر، فدخل على رسول الله ﷺ منزله، وكشف الغطاء عن

(١) سالم بن عبيد الأشجعي من أهل الصفه. انظر ترجمته في الإصابة ٣/١٠.

وجهه وقبّله وتحقق أنه قد مات، وخرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر وبيّن لهم وفاة رسول الله ﷺ كما قدّمنا، وأزاح الجدل، وأزال الأشكال ورجع الناس كلهم إليه.

مسألة مهمة:

وقعت شبهة لبعض الأنصار، وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار، وتوسّط بعضهم بين أن يكون أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار، حتى بيّن لهم الصديق أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه كما سنبينه وننبه عليه.

قصة سقيفة بني ساعدة وحديث عمر الصحيح في بيانها:

قال الامام أحمد: ثنا اسحاق بن عيسى الطباع ثنا مالك بن أنس حدثني ابن شهاب عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رحله ـ قال ابن عباس وكنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف فوجدني وأنا انتظره - وذلك بمنى في آخر حجة حجها عمر بن الخطاب فقال عبد الرحمن بن عوف: إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: إن فلانا يقول لو قد مات عمر بايعت فلانا، فقال عمر: إني قائم العشية إن شاء الله في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم. قال عبد الرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رَعَاع الناس وغوغاءهم وأنهم يغلبون على مجلسك إذا قمت في الناس فاخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك، فلا يعوها ولا يضعوها مواضعها، ولكن حتى تقدم المدينة، فانها دار الهجرة

والسُّنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكنا، فيعون مقالتك، ويضعوها مواضعها، قال عمر: لئن قدمت المدينة صالحا لأكلمن بها الناس فى أول مقام أقومه، فلما قدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة، وكان يوم الجمعة عجّلتُ الروَّاح صَكّة الاعمى. قلت لمالك: وماصَكّةُ الاعمى؟ قال: إنه لا يبالى أى ساعة خرج، لايعرف الحرَّ والبرد أو نحو هذا، فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الايمن قد سبقنى فجلست حذاءه تحكُّ ركبتى ركبتَه فلم أنشب أن طلع عمر، فلما رأيته قلتُ: ليقولَنّ العشية على هذا المنبر مقالة ما قالها عليه أحد قبله. قال: فانكر سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عَسَيتَ أن يقول ما لم يقل أحد؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام، فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد: أيها الناس، فإنى قائل مقالة وقد قُدِّر لى أن أقولها لا أدرى لعلها بين يدى أجلي، فمن وعاها وعقلها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن لم يَعِها فلا أُحِلُّ له أن يكذب عليّ، إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فاخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل، لا نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل. فالرجم فى كتاب الله حَقٌّ على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحَبَل[1] أو الاعتراف. ألا وإنا قد كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فان كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ألا وإن

[1] الحبل: بفتح المهملة والموحدة، أي حبلى من الزنا، وفي رواية معمر: الحمل (فتح الباري ١٢/١٤٨).

رسول الله ﷺ قال: لا تطرونى كما أُطْرِي عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبدا لله ورسوله.

وقد بلغنى أن قائلا منكم يقول: لو قد مات عمر بايعتُ فلانا، فلا يغترنّ امروء أن يقول: إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتةً فتمت. آلا وإنها كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها، وليس فيكم اليوم من تُقْطَعُ إليه الاعناق مثل أبى بكر، وأنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن علياً والزبير ومن كان معهما تخلَّفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتخلفت عنا الأنصار بأجمعها فى سقيفة بنى ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر. فقلت له: يا أبابكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذى صنع القوم، فقالا: أين تريدون يامعشر المهاجرين؟ فقلت: نريد اخواننا من الأنصار. فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فاذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمّلُ. فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ماله؟ قالوا: وجع. فلما جلسنا قام خطيبهم فاثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط نبينا وقد دَفّتْ دافّة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتَحْضُنُونا من الأمر، فلما سكت أردتُ أن أتكلم، وكنت قد زورتُ مقالةً اعجبتنى، أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر، وكنت أدارى منه بعض الحَدِّ، وهو كان احلمَ منى وأوقر، فقال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، وكان أعلمَ مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى الا قالها فى بديهته وأفضل، حتى سكت. فقال: أما بعد فما ذكرتم من خير

فانتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر الا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحَدَ هذين الرجلين، أيهما شئتم، واخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرَها، وكان والله أن أُقَدَّم فتضربَ عنقي لايُقَرِّبُنِى ذلك إلى اثم أحبُّ إليّ من أن أتأمرَّ على قوم فيهم أبو بكر، إلا أن تغير نفسي عند الموت. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيلُها المحَكَّك وعُذَيْقُها المرَجّب، منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش. فقلت لمالك: ما يعنى أنا جُذَيلها المحكك وعذيقها المرجب؟ قال: كأنه يقول أنا داهيتها، قال: فكثر اللغطُ وارتفعت الاصوات حتى خشينا الاختلاف، فقلتُ: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عُبَادة فقال قائل منهم: قتلتم سعداً، فقلتُ: قتل الله سعداً. قال عمر: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبى بكر خَشِينا إن فارقْنَا القومَ ولم تكن بيعةُ أن يحدِثُوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على مالا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعةَ له، ولا بيعة للذى بايعه، تَغِرَّةَ أن يُقْتَلا.

قال مالك: فأخبرنى ابن شهاب عن عروة: أن الرجلين اللذين لقياهما: عويم بن ساعدة، ومَعْنُ بن عدى. قال ابن شهاب وأخبرنى سعيد ابن المسيب أن الذى قال أنا جُذَيلها المحكّك وعُذَيقها المرجّب هو الحُبَاب ابن المنذر(١). وقد أخرج هذا الحديث الجماعة في كتبهم(٢) من طرق عن مالك وغيره عن الزهرى به.

---

(١) المسند ٣٢٣/١ تحقيق أحمد شاكر.

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. من حديث ابن عباس، وانظر فتح الباري ١٤٤/١٢. ومسلم، كتاب الحدود، حديث رقم - -

وقال الامام أحمد: حدثنا معاوية عن عمرو ثنا زائدة ثنا عاصم ح وحدثني حسين بن على عن زائدة عن عاصم عن زِرّ عن عبدالله ـ هوابن مسعود ـ قال لما قبض رسول الله ﷺ. قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يامعشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر ابا بكر أن يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر. فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[١]. ورواه النسائي عن اسحاق بن راهويه وهَنّاد بن السّري عن حسين بن علي الجعفى عن زائدة به[٢]. ورواه علي بن المدينى عن حسين بن علي وقال: صحيح لا احفظه إلا من حديث زائدة عن عاصم. وقد رواه النسائي أيضاً من حديث سلمة بن نُبَيط، عن نُعَيم بن أبى هند، عن نُبَيط، بن شَرِيط عن سالم بن عبيد عن عمر نحوه[٣]، وقد روي عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر، وجاء من طريق محمد ابن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس عن عمر أنه قال قلت: يامعشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ثانى اثنين إذ هما في الغار وأبو بكر السباق المسن، ثم أخذت بيده وبدرنى رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده، وتتابع الناس[٤]. وقد روى محمد بن سعد[٥] عن عارم

(١٦٩١) مختصراً، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، باب رقم (٤) حديث رقم (٧١٥٣ حتى ١٧٦٠) ٤/٢٧٣ - ٢٧٥.

(١) المسند ١/٢١٣ تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح.

(٢) السنن الكبرى، كتاب الإمامة والجماعة، باب رقم (١) حديث رقم ٨٥٣ (١/٢٧٩).

(٣) المصدر السابق، كتاب التفسير، باب رقم (١٦٨) حديث رقم ١١٢١٩ (٦/٣٥٥).

(٤) راجع سيرة ابن هشام ٤/٤١٢.

(٥) الطبقات الكبرى ٣/١٨٢ لكنه مرسل.

ابن الفضل عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد فذكر نحواً من هذه القصة، وسَمّى هذا الرجل الذى بايع الصديق قبل عمر بن الخطاب. فقال: هو بشير بن سعد والد النعمان بن بشير.

اعتراف سعد بن عبادة بصحة ماقاله الصديق يوم السقيفة:

قال الامام أحمد: ثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن داود بن عبدا لله الأودى عن حميد ابن عبد الرحمن قال: توفى رسول ا لله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه فى طائفة من المدينة. قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبله. وقال فداك أبى وأمي ما أطيبك حياً وميتاً، مات محمد ورب الكعبة. فذكر الحديث. قال فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل فى الأنصار ولا ذكره رسول ا لله من شأنهم إلا ذكره. وقال: لقد علمتم أن رسول ا لله ﷺ. قال: لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار واديا سلكت وادى الأنصار. ولقد علمتَ ياسعد أن رسول ا لله ﷺ. قال: وأنت قاعد ـ قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم. فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[1].

وقال الامام أحمد: حدثنا على بن عباس ثنا الوليد بن مسلم أخبرني يزيد ابن سعيد بن ذى عضوان العبسى عن عبد الملك بن عمير اللخمى عن رافع الطائى رفيق أبي بكر الصديق فى غزوة ذات السلاسل. قال: وسألته عما قيل فى بيعتهم. فقال: وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به وما كَلّمَ به عمر بن الخطاب الأنصار، وما ذَكّرَهم به من إمامتى إياهم بأمر رسول ا لله

(١) انظر الفتح الرباني ٦٢/٢٣ وهو مرسل حسن كما قال شيخ الاسلام في منهاج السنة ٥٣٦/١. وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة برقم (١١٥٦).

ﷺ فى مرضه، فبايَعُونِى لذلك وقَبِلْتها منهم، وتخوفتُ أن تكون فتنة بعدها رِدّة[١]. وهذا اسناد جيد قوى. ومعنى هذا أنه ﷺ إنما قَبِل الإمامَة تخوفاً أن تقع فتنة أربى من تركه قبولَها ﷺ وأرضاه. وكان هذا فى بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس فى المسجد فَتُمّمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ تسليماً.

بيعة الصديق فى المسجد وخطبته:

قال البخاري: أنبأنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن معمر عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلم. قال: كنت ارجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرنا ـ يريد بذلك أن يكون آخرهم ـ فإن يك محمداً قد مات فان الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ، وإن ابا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين، وأنه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهرى عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر! فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس][٢].

وقال محمد بن اسحاق: حدثنى الزهرى حدثنى أنس بن مالك. قال: لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر وقام عمر

(١) المسند ١/١٧٢ تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح.
(٢) صحيح البخاري كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (١٣/٢٠٦ من فتح الباري).

فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إنى قد كنتُ قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما كانت وما وجدتُها فى كتاب الله ولا كانت عهداً عهدها إليّ رسول الله ﷺ ولكنى كنت أرى أن رسول الله سَيَدْبُر أمرنا - يقول: يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى به رسول الله فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وأن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه. فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو اهله. ثم قال: اما بعد ايها الناس فانى قد ولّيتُ عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني. الصدق أمانة. والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أُرِيح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يَدَعُ قومُ الجهادَ في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّل، ولا تشيعُ الفاحشة في قومُ قط إلا عَمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَه، فاذا عصيتُ الله ورسولَه، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله][1] وهذا إسناد صحيح، فقوله رضي الله عنه: وَلّيتكم ولستُ بخيركم، من باب الهضم والتواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنهم.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/٤١٣ - ٤١٤) تحقيق همام سعيد ومحمد أبو صعيليك..

بيعة عليّ والزبير:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الحافظ الاسفراييني حدثنا أبو على الحسين بن على الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة، وإبراهيم بن أبى طالب.قالا: حدثنا بندار بن بَشّار(١). حدثنا أبو هشام المخزومي حدثنا وهيب حدثنا داود بن أبى هند حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري. قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس فى دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر، قال فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم! اما لو قلتم على (غير) هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أبى بكر. وقال: هذا صاحبكم فبايعوه. فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار.قال: فصعد أبوبكر المنبر فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير. قال: فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال: لا تثريب ياخليفة رسول الله ﷺ، فقام فبايعه. ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير علياً فدعا بعلي بن ابى طالب فجاء. فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب ياخليفة رسول الله ﷺ فبايعه. هذا أو معناه(٢).

---

(١) وقع في الأصل ٥/٢٤٨ تصحيف في الأسماء وجرى اصلاحه من سنن البيهقي.

(٢) ذكره الحافظ بمعناه فإنه رحمه الله يكتب من حفظه.

وقال: أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن اسحاق بن خزيمة يقول: جاءنى مسلم ابن الحجاج، فسألنى عن هذا الحديث فكتبته له فى رقعة وقرأته عليه، فقال: هذا حديث يسوى بَدَنة فقلت: يسوى بَدَنة؟ بل هو يسوى بَدْرَة![1].

وقد رواه علي بن عاصم عن الجُرَيرى، عن أبى نَضرة عن أبى سعيد الخدري، فذكر نحو ما تقدم، وهذا اسناد صحيح محفوظ من حديث أبى نضرة المنذر بن مالك بن قُطَعة، عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري[2].

فائدة جليلة:

وفي هذا الخبر فائدة جليلة وهى مبايعة علي بن أبى طالب، إما فى أول يوم، أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فان علي بن أبى طالب لم يفارق الصديق فى وقت من الأوقات، و لم ينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه، كما سنذكره، وخرج معه إلى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة، كما سنبينه قريبا، ولكن لما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ و لم تعلم بما أخبرها به الصديق رضي الله عنه. أن رسول الله قال: "لانورث ما تركنا فهو صدقة" فحجبها وغيرها من

(١) السنن الكبرى ١٤٣/٨ كتاب قتال أهل البغي، باب الأئمة من قريش. وانظر تاريخ دمشق ٦٦٩/٩. وقد جاءت العبارة عند ابن كثير (٢٤٩/٥) هكذا: "وهذا حديث يسوى بدنة بل يسوى بدرة" وجرى تصحيحه حسب الرواية في سنن البيهقي.

(٢) في الأصل المنذري وهو تصحيف بين.

ازواجه وعَمِّـه عـن الميراث بهـذا النـص الصريـح، كمـا سـنبين ذلـك فـى موضعه، فسألته أن ينظر عليٌ فى صدقة الأرض التى بخيبر وفدك فلم يجبهـا إلى ذلك، لأنه رأى أن حقا عليه أن يقوم فى جميع ما كـان يتـولاه رسـول الله ﷺ. وهو الصادق، البار، الراشـد، التـابع للحـق ﷺ، فحصـل لهـا ـ وهى امرأة من البشر ليست بواجبـة العصمـة ـ عَتْـبٌ وتغضُّـب و لم تكلـم الصديق حتى ماتت، واحتاج علي أن يراعى خاطرها بعـض الشـيء، فلمـا ماتت بعد ستة اشهر من وفـاة أبيها ﷺ، رأى عليّ أن يجدد البيعة مع أبى بكر ﷺ،كما سنذكره مـن الصحيحـين وغيرهمـا فيمـا بعـد إن شـاء الله تعالى، مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ. ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة فى مغازيه عن سعد ابن إبراهيم، حدثنى أبي، أن أبـاه عبد الرحمن بن عوف كان مـع عمـر وأن محمـد بـن مسـلمة كسـر سـيف الزبير. ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: ما كنـت حريصاً علـى الامارة يومـا ولا ليلـة، ولا سـألتها فـى سـر ولا علانيـة. فقبـل المهـاجرون مقالته. وقال عليّ والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أُخِّرنَا عن المشورة، وإنـا نـرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعـرف شـرفه وخـبره، ولقد امره رسول الله ﷺ أن يصلى بالناس وهو حَيّ. **اسناد جيد و لله الحمد والمنة.**

اجماع الصحابة على اختيار الصديق وبيعته بالخلافة من غير نص:

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له اجماع الصحابة، المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبى بكر، وظهر برهان قوله عليه السلام: "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر". وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينصّ على الخلافة عينا لأحد من الناس، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة، ولا لعليّ كما يقوله طائفة من الرافضة. ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذى لُبّ وعقل إلى الصديق كما قدمنا و لله الحمد.

الأدلة على أن رسول الله لم يستخلف أحداً بعينه*:

١ - ثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر: أن عمر ابن الخطاب لما طُعِنَ قيل له ألا تستخلف ياأمير المؤمنين؟ فقال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبابكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله - قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخْلِف(١).

٢ - وقال سفيان الثوري، عن الاسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان. قال: لما ظهر علي على الناس يوم الجمل، قال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد الينا في هذه الإمارة شيئا، حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من

(*) ذكر هذه الأدلة الحافظ البيهقي في دلائل النبوة ٧/٢٢١ - ٢٣٠.

(١) صحيح البخاري كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (١٣/٢٠٥ من الفتح)، ومسلم كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه ٣/١٤٥٤.

الرأي أن يستخلف عمر، فأقام، واستقام، حتى مضى لسبيله ـ أو قال: حتى ضرب الدين بِجِرانِه - الى آخره[١].

٣ - قال الامام احمد ثنا أبو نعيم ثنا شريك عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان. قال: خطب رجل يوم البصرة حين ظهر علي فقال علي: هذا الخطيب الشحشح[٢] - سَبَق رسول الله ﷺ، وصلى[٣] أبو بكر، وثَلّث عمر، ثم خبطتنا فتنة بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء.

٤ - وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبدالله الحافظ أنبأنا أبو بكر محمد بن احمد المزكي بمرو، ثنا عبدالله بن روح المدائني، ثنا شبابة بن سَوَّار ثنا شعيب بن ميمون عن حصين بن عبدالرحمن عن الشعبي عن أبي وائل. قال: قيل لعلي بن أبي طالب، ألا تستخلف علينا؟ فقال ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[٤]. إسناد جيد ولم يخرجوه.

٥ - ما ذكره البخاري من حديث الزهري عن عبدالله ابن كعب بن مالك عن ابن عباس: أن عباسا وعليا لما خرجا من عند رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوه ٢٢٣/٧.

(٢) في الأصل السجسج والتصحيح من مسند أحمد ٣٥٨/٢ برقم ١٢٥٥ وقال احمد شاكر: هو مرسل. ولكن ذكر له طرقاً وشواهد صحيحة في المسند برقم ١١٠٧ و ١٢٠٦ و١٢٥٨.

(٣) أي ثنى وجاء بعد رسول الله.

(٤) دلائل النبوة (٢٢٣/٧) وقال عقبه: شاهده في الحديث الثابت عن علي رضي الله عنه ثم ساق الحديث الأتي بسنده.

فقال رجل كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال علي: أصبح بحمد الله بارئاً. فقال العباس: انك والله عبدالعصا بعد ثلاث، إني لأعرف في وجوه بني هاشم الموت، واني لأرى في وجه رسول الله الموت فاذهب بنا اليه فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فان كان فينا عرفناه وان كان في غيرنا أمرناه فوصاه بنا. فقال علي: إنى لا أسأله ذلك، والله إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً[١]. وقد رواه محمد بن اسحاق عن الزهري به فذكره. وقال فيه: فدخلا عليه يوم قبض ﷺ فذكره. وقال في آخره: فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم[٢].

قال ابن كثير: فهذا يكون في يوم الاثنين يوم الوفاة، فَدّل على أنه عليه السلام توفى عن غير وصية في الإمارة. وفي الصحيحين عن ابن عباس أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب ذلك الكتاب، وقد قدمنا أنه عليه السلام كان طلب أن يكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده فلما أكثروا اللغط والاختلاف عنده. قال: "قوموا عني فما أنا فيه خير مما تدعونني اليه". وقد قدمنا أنه قال بعد ذلك: "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر"[٣].

٦ - وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عون عن ابراهيم التيمي عن الاسود. قال: قيل لعائشة إنهم يقولون إن رسول الله ﷺ أوصى الى علي. فقالت: بما أوصى الى علي؟ لقد دعا بطست ليبول فيها وأنا مسندته

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته (١٤٢/٨ من الفتح).
(٢) سيرة ابن هشام ٦٥٤/٢.
(٣) تقدم في ص٤٦

الى صدري فانحنف فمات وما شعرت، فيم يقول هؤلاء إنه أوصى الى علي؟(١).

٧ - وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه. قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال: من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في قراب سيفه، فيها أسنان الابل وأشياء من الجراحات - فقد كذب. وفيها، قال رسول الله ﷺ: "المدينة حرم ما بين عير الى ثور(٢)، من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، ومن ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا"(٣).

---

(١) صحيح البخاري كتاب الوصايا (٥/٣٥٦ من الفتح)، ومسلم كتاب الوصية حديث رقم (١٦٣٦).

(٢) هذه رواية مسلم في الصحيح وفي صحيح البخاري من عير الى كذا، واستشكل بعضهم ذكر ثور في الحدث حيث أن جبل ثور في مكة، وقال أبو عبيد: نرى أن أصل الحديث، ما بين عير الى أحد، لكن ذكر بعض أهل العلم أن ثور الوارد في الحديث جبل صغير معروف يقع خلف جبل أحد من الشمال. (انظر فتح الباري ٤/٨٢ - ٨٣).

(٣) صحيح البخاري كتاب الجزية والموادعة باب ذمة المسلمين (٦/٢٧٣ من الفتح) وصحيح مسلم كتاب الحج، حديث رقم (١٣٧٠) وأبو داود في المناسك ٢/٢١٦، ومسند أحمد ٢/٤٤ وقال أحمد شاكر: اسناده صحيح.

الرّدُّ على الرافِضَة:

وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي عنه، يرد على فرقة الرافضة، في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى اليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رَدّ ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير مَنْ قَدّمَه ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا، ولَمّا، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم الى الفجور والتواطئ على معاندة الرسول ﷺ ومضادتهم في حكمه ونَصِّه، ومن وصل من الناس الى هذا المقام فقد خلع ربقة الاسلام وكفر باجماع الأئمة الاعلام، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام. ثم لو كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه نص فلم لا كان يحتج به على الصحابة على اثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ مامعه من النص فهو عاجز، والعاجز لايصلح للإمارة، وان كان يقدر و لم يفعله فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وان لم يعلم بوجود النص فهو جاهل. ثم وقد عرفه وعلمه من بعده هذا محال وافتراء وجهل وضلال. وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطَّغَام والمغترين من الأنام، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل مجرد التحكم والهذيان والافك والبهتان، عياذا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان، والتخبيط والكفران، وملاذا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن، والوفاة على الاسلام والايمان، والموافاة على الثبات والايقان، وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم مَنّان رحيم رحمن.

الردّ على الطُّرَقِية والقُصّاص:

وفي هذا الحديث الثابت في الصحيحين عن علي الذي قَدّمناه رَدٌّ على متقولة كثير من الطّرقِية والقُصّاص الجهلة في دعواهم أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة، يا علي افعل كذا، يا علي لا تفعل كذا، يا علي من فعل كذا كان كذا وكذا. بألفاظ ركيكة ومعاني أكثرها سخيفة وكثير منها صُحُفِيّة لا تساوي تسويد الصحيفة والله أعلم[1].

(١) أشار الحافظ البيهقي في دلائل النبوة (٢٢٩/٧) إلى بعضها وقال: إنه حديث موضوع وهو من رواية حماد بن عمرو النَّصَيبي، وهو كذاب يضع الحديث.

ما حصل من فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما بسبب ميراث النبي:

قال البخاري: باب قول رسول الله: "لا نورث ما تركنا صدقة" حدثنا عبدالله ابن محمد ثنا هشام أنبأنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة: أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر. فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول "لا نُورَثُ ما تركنا صَدَقَةٌ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال". قال ابو بكر: والله لا أدع امراً رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَصْنَعَه فيه إلا صَنعْتَه، قال: فهَجَرْتُه فاطمة فلم تكلِّمْه حتى ماتت(١).

وقد روى البخاري هذا الحديث في كتاب المغازي من صحيحه(٢).

وزاد؛ فلما توفيت دفنها علي ليلا ولم يؤْذِن بها أبابكر وصلى عليها، وكان لعليّ من الناس وجهٌ حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر عليُ وجوهَ الناس، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته، ولم يكن يُبايعُ تلك الأشهر، فأرسل إلى أبى بكر أن ائتنا، ولا يأتنا معك أحد، وكره أن يأتيه عمر - لما علم من شدة عمر - فقال عمر: والله لا تدخل عليهم وحدك. قال أبوبكر: وما عسى أن يصنعوا بى؟ والله لآتينهم. فانطلق أبو بكر رضي الله عنه، فتشهد علي وقال: إنا قد عرفنا فضلك وما اعطاك الله، ولم ننفِس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من

(١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض (٥/١٢ من الفتح). وفدك: قرية بجوار خيبر أفاءها الله على رسوله من غير قتال (معجم البلدان ٢٣٨/٤).

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٩٣/٧ من الفتح).

رسول الله ﷺ نصيباً، فلم يزل علي يذكر حتى بكى أبو بكر رضي الله عنه. وقال: والذى نفسي بيده لقرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إلىّ أن أصل من قرابتي. وأما الذى شجر بيني وبينكم فى هذه الأموال فلم آلُ فيه عن الخير، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله ﷺ إلا صنعته. فقال علي لأبي بكر: موعدُكَ العشية للبيعة، فلما صلى ابوبكر رضي الله عنه الظهر رقى على المنبر، فتشهد، وذكر شأن عليّ وتخلُّفَه عن البيعة وعَذَره بالذى اعتذر إليه ثم استغفر. وتشهّد عليُ رضي الله عنه، فعظم حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقته، وحدّث أنه لم يحمله على الذى صنع نَفَاسَةً على أبى بكر ولا إنكاراً للذي فضَّلَه الله به، ثم قام إلى أبى بكر رضي الله عنهما فبايعه. فاقبل الناس على علي، فقالوا: أحسنت. وكان الناس إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف.

رَدُّ شُبهة:

وقد تكلمتِ الرافضةُ فى هذا المقام بجهل، وتكلفوا مالا علم لهم به، وكَذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولّما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لايعنيهم، وحاول بعضهم أن يردّ خبر أبى بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه بأنه مخالف للقرآن، حيث يقول الله تعالى: ﴿**وورث سليمان داود**﴾[سورة النمل:١٦]. وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال:﴿**فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**﴾ [سورة مريم: ٥ - ٦]. واستدلالهم بهذا باطل من وجوه[1]؛

(١) ذكر المصنف هذه الوجوه عند حديثه عن زكريا عليه السلام ٢/٤٩.

أحدها: أن قوله: ﴿**وورث سليمان داود**﴾ إنما يعنى بذلك فى الملك والنبوة، أى جعلناه قائما بعده فيما كان يليه من الملك وتدبير الرعايا، والحكم بين بنى إسرائيل، وجعلناه نبيا كريماً كأبيه، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده، وليس المراد بهذا وراثة المال، لأن داود كما ذكره كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون يقال مائة، فلِمَ اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال؟ إنما المراد وراثة القيام بعده فى النبوة والملك، ولهذا قال: ﴿**وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين**﴾ [سورة النمل:١٦] وما بعدها من الآيات. وقد اشبعنا الكلام على هذا فى كتابنا التفسير[١] بما فيه كفاية.

وأما قصة زكريا فانه عليه السلام من الأنبياء الكرام، والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولداً ليرثه فى ماله، وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخاري[٢]، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله لو كان له مال - وإنما سأل ولداً صالحاً يرثه فى النبوة والقيام بمصالح بنى اسرائيل، وحملهم على السداد. ولهذا قال تعالى: ﴿**كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداءً خفياً، قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا، وإنى خفت**

(١) تفسير القرآن العظيم ١٩٢/٦.

(٢) هكذا فى الأصل "رواه البخاري" و لم أقف عليه فى البخاري و لم ينسبه المزي فى تحفة الأشراف لغير مسلم وابن ماجه (٣٨٦/١٠) وقد ذكر المصنف الحديث فى ترجمة زكريا فى البداية والنهاية ٤٩/٢ وساقه من طريق الامام أحمد ثم قال: أخرجه مسلم، وابن ماجه، وانظر صحيح مسلم ١٨٤٧/٤ برقم ٢٣٧٩.

الموالى من وارثى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾ [سورة مريم: ١-٦] ... القصة بتمامها. فقال: وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب، يعنى النبوة كما قررنا ذلك فى التفسير(١) و لله الحمد والمنة. وقد ورد فى رواية أبى سلمة عن أبى هريرة عن أبى بكر. أن رسول الله ﷺ قال:"النبى لايورث" وهذا اسم جنس يعم كل الأنبياء، وقد حسنه الترمذي(٢). وفى الحديث الآخر "نحن معشر الأنبياء لا نورث".

الوجه الثاني: أن رسول الله ﷺ قد خُصَّ من بين الأنبياء بأحكام لايشاركونه فيها كما سنعقد له بابا مفرداً في آخر السيرة إن شاء الله، فلو قُدِّر أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك - لكان مارواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة؛ أبوبكر وعمر وعثمان وعلي مبينا لتخصيصه بهذا الحكم دون ما سواه.

الوجه الثالث: أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء، واعترف بصحته العلماء، سواء كان مِنْ خصائصه أم لا. فانه قال: "لا نورث ما تركنا صدقة" إذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه السلام "ماتركنا صدقة" أن يكون خبراً عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ما تقدم وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون إنشاء وصيته كأنه يقول: لا نورث لأن جميع ماتركناه صدقة، ويكون تخصيصه من حيث جواز جعله ماله كله صدقة، والاحتمال الأول أظهر. وهو الذي سلكه

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٢٠٧.

(٢) سنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في تركة رسول الله، برقم ١٦٠٨ (٤/١٥٧).

الجمهور. وقد يقوي المعنى الثاني حديث مالك وغيره عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركتُ بعدَ نفقَةِ نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقةٌ. وهذا اللفظ مخرج في الصحيحين(١)، وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة في رواية هذا الحديث ما تركنا صدقةً، بالنصب، جعل ــ ما ــ نافية، فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله لا نورث؟! وبهذه الرواية "ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة" وما شأن هذا إلا كما حُكِي عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ بنصب الجلالة، فقال له الشيخ: ويحك كيف تصنع بقوله تعالى ﴿**فلما جاء موسى لميقاتنا فكلمهُ رَبُّه**﴾ والمقصود أنه يجب العمل بقوله ﷺ "لا نورث ما تركنا صدقةٌ" على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى، فانه مُخصِّصُ لعموم آية الميراث، ومخرجُ له عليه السلام منها، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

استرضاء أبي بكر فاطمة قبل وفاتها:

روى الحافظ البيهقي، عن الشعبى، قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبوبكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يافاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت أتحب أن آذن له؟ قال: نعم! فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله،

(١) صحيح البخاري كتاب الفرائض، باب قول النبي: لانورث ما تركناه صدقة. (٦/١٢ من فتح الباري) وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي: لانورث ما تركنا فهو صدقة. (١٣٨٢/٣) حديث رقم (١٧٦٠).

ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[١]. وهذا إسناد جيد قوى، والظاهر أن عامر الشعبى سمعه من علي، أو ممن سمعه من علي.

تجديد عليّ البيعةَ لأبي بكر بعد موت فاطمة رضي الله عنها:

روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق متعددة عن الزهرى عن عروة عن عائشة مبايعة علي لأبي بكر بعد وفاة زوجته فاطمة - كما تقدم - فهذه البيعة التى وقعت من علي، لأبى بكر رضي الله عنه، بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، بيعة مؤكدة للصلح الذى وقع بينهما، وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها أولاً يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة، وصححه مسلم ابن الحجاج، و لم يكن علي مجانبا لأبى بكر هذه الستة الأشهر، بل كان يصلى وراءه ويحضر عنده للمشورة، وركب معه إلى ذى القَصّة كما سيأتى. وفى صحيح البخاري أن أبا بكر رضي الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليالٍ، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن علي يلعب مع الغلمان، فاحتمله على كاهله وجعل يقول: يا بأبى شِبْه النبي، ليس شبيها بعليّ. وعليٌّ يضحك"[٢]. ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم يبايع قبلها فنفى ذلك،والمثبت مقدم على النافى كما هو مقرر، والله أعلم. وأما تغضب فاطمة رضي الله عنها وأرضاها على أبى بكر رضي الله عنه فما أدري ما وجهه؟ **فان كان لمنعه اياها ماسألته من الميراث، فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله** وهو مارواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قال"لانورث ما تركنا صَدَقَه. وهى ممن تنقاد لنص الشارع الذى خفى عليها قبل سؤالها الميراث كما

---

(١) دلائل النبوة ٢٨١/٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، حديث رقم (٣٧٥٠).

خفى على أزواج النبي ﷺ حتى أخبرتهن عائشة بذلك، ووافقنها عليه، وليس يُظَنّ بفاطمة رضي الله عنها أنها أتهمت الصديق رضي الله عنه فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن ابى وقاص، وأبو هريرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له فى ذلك، **وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصديق إذ كانت هذه الأراضى صدقة لا ميراثاً أن يكون زوجها ينظر فيها**، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ، ويلى ما كان يليه رسول الله، ولهذا قال: وإنى والله لا أدع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت. **وهذا الهجران - والحالة هذه - فَتَحَ على فرقة الرافضة شراً عريضاً، وجهلاً طويلاً، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيهم ولو تفهموا الأمور على ماهي عليه لعرفوا للصديق فضله، وقبلوا منه عذره الذى يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابه**[1]**، ويتركون الأمور المحكمة المقررة عند أئمة الاسلام، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين فى سائر الاعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.**

(١) **قلت**: وذلك بسبب اتباعهم الهوى، وقصدهم تفريق كلمة المسلمين كما هو ظاهر لمن تأمل نشأتهم، فإنهم فرقة أوجدها أعداء الملة الحنيفية بقصد التخريب من الداخل.

الفصل الثالث

حركة الردة والقضاء عليها

خطبة للصديق بعد البيعة ودفن رسول الله:

قال سيف ابن عمر التميمي، عن أبي ضمرة، عن أبيه، عن عاصم بن عدي، قال: نادى منادي أبي بكر من الغد من مُتَوفّى رسول الله ﷺ ليتمم بعث اسامة، الا لا يبقين بالمدينة أحد من جيش اسامة إلا خرج إلى عسكره بالجُرْف[1]، وقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إنما أنا مثلكم واني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست مبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطانا يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثّر في أشعاركم وأبشاركم، وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيبَ عنكم عِلْمُه، وإن استطعتم أن لا يمضي إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تسطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مَهَلِ آجالكم، من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فان قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم بعدهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد، النجاة النجاة، فإن وراءكم طالبا حثيثا، أجلا مَرّهُ سريعُ، احذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات[2].

---

[1] الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام (ياقوت، معجم البلدان ١٢٨/٢).

[2] انظر تاريخ الطبري ٢٢٤/٣.

تنفيذ جيش أسامة:

كان رسول الله ﷺ قد أمر أسامة بالمسير الى تخوم البلقاء من الشام، حيث قتل زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، فيغتزوا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف فخيموا به، وكان بينهم عمر بن الخطاب[1]، ويقال وأبوبكر الصديق، فاستثناه رسول الله منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات رسول الله عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، و لم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جُوَاثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في صحيح البخاري[2]. وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الأسلام، لم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من

---

[1] ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٥٢/٨) أن ابن تيمية في كتابه الرد على ابن المطهر قد أنكر أن يكون أبو بكر وعمر قد اكتتبا في جيش أسامة. وعند مراجعة منهاج السنة لابن تيميه، عند كلامه على هذه المسألة (٢٧٦/٤) ومابعدها وجدته يستثنى الصديق فقط ويقول بأنه لم يكتتب في جيش أسامة لأن النبي عقد الراية لأسامة بعد مرضه ﷺ وقبل وفاته بأيام وهو قد أمره بالصلاة في مسجده. وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٢٢/٥) وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في - - جيشه فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال: إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف، وقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس، فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين، ولو فرض أنه كان قد انتدب فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٣٧٩/٢ من الفتح).

جملة من اشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جَرّت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزنّ جيش أسامة، وأمر الحرس يكونون حو ل المدينة.

فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فغابوا أربعين يوما ويقال سبعين يوما، ثم أتوا سالمين غانمين.

قال سيف بن عمر: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: **لما بويع أبو بكر وجمع الانصار في الأمر الذي افترقوا فيه، قال: ليتم بعث أسامة، وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة، في كل قبيلة، ونجم النفاق وأشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، وقلتهم وكثرة عدوهم**، فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته. وقد روي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. ومن حديث القاسم وعَمْرة عن عائشة قالت: **لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة وأشرأب النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حِشّ في ليلة باردة،**

بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة الإطار أبى بحظها وفنائها فى الإسلام، ثم ذَكَرت عُمر فقالت: من رأى عمر علم أنه خلق غناء للاسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها[1].

روى سيف بن عمر عن أبي ضمرة وأبي عمر وغيرهما عن الحسن البصري: أن أبا بكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر: قل له فليؤمّر علينا غير أسامة، فذكر له عمر ذلك، فيقال: إنه أخذ بلحيته وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، أؤمر غير أمير رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجرف فاستعرض جيش أسامة وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشيا، وأسامة راكبا، وعبدالرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله؛ إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال: والله لستَ بنازلٍ ولستُ براكبٍ، ثم استطلق الصديقُ من أسامة عمرَ بن الخطاب - وكان مكتتبا في جيشه - فأطلقه له، فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير[2].

---

[1] المصنف لابن أبي شيبه (٥٧٢/١٤) من طريق عبدالرحمن بن أبي عون عن القاسم بن محمد، بنحوه.

[2] انظر تاريخ الطبري ٢٢٦/٣.

تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة:

قال محمد بن اسحاق: ولما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشرأبت اليهود والنصارى ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم، حتى جمعهم الله على أبي بكر رضي الله عنه.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم **أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الاسلام وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتاب بن أسيد.** فتوارى فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الاسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به، فظهر عتاب بن أسيد. فهذا المقام الذي اراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب ـ يعني حين أشار بقلع ثنيته حين وقع في الاساري يوم بدر ـ إنه عسى أن يقوم مقامًا لاتَذُمَّنه[1].

وانحاز إلى مسيلمة الكذاب، بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الاسدى بنو أسد وطئ، وبشر كثير أيضاً، وادعى النبوة كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، **ونَفَّذَ الصديق جيش أسامة، فقلّ الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب فى المدينة وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراسا يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس: علي بن أبى طالب،** والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله،

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ٦٤٩/٢. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٣٢/٢ الطبقة الرابعة) من طريق ابن اسحاق.

وسعد ابن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدا لله بن مسعود، وجعلت وفود العرب تقدم المدينة، يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، وذُكِر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**﴾ [سورة التوبة آية ١٠٣] قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا فواعجبا ما بال ملك أبى بكر[١]

وقد تكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الايمان فى قلوبهم. ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه. وقد روى الجماعة فى كتبهم سوى ابن ماجه عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟ فقال أبو بكر: والله لو منعونى عناقا، وفى رواية: عقالا، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[٢]. قلت: وقد قال الله

---

[١] البيت في تاريخ الطبري ٢٤٦/٣ منسوباً لعبد الله الليثي ضمن أبيات أخرى، وفيه اختلاف يسير.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض (٢٧٥/١٢ من الفتح) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله الا الله، حديث رقم (٢٠).

تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾ [سورة التوبة: ٥] وثبت في الصحيحين: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان(١).

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة ابن سَوَّار: ثنا عيسى بن يزيد المديني، حدثني صالح بن كيسان، قال: لما كانت الردة قام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **الحمد لله الذى هدى فكفى، وأعطى فأغنى، وإن الله بعث محمداً ﷺ، والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون صفْر من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، أجهدُهم عيشا، وأضلهم دينا، فى طلب من الارض مع فَيّة السَّحاب فجمعهم الله بمحمد، وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذى أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم، وبغى هَلَكتِهم ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[سورة آل عمران: ١٤٤] إن من حولكم من العرب منعوا اشاتهم وبعيرهم. ولم يكونوا فى دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا فى دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد تقدم من بركة**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي بني الإسلام على خمس، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (٤٩/١ من فتاح الباري) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام (حديث رقم ١٦).

نبيكم ﷺ، وقد وكلكم إلى المولى الكافى، الذى وجده ضالا فهداه، وعائلا فأغناه ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويفى لنا عهده، ويُقْتَلُ من قتل منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقى منا خليفته وذريته فى أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذى لا خلف له **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض﴾** [سورة النور: ٥]، ثم نزل[١].

وقال الحسن وقتادة وغيرهما فى قوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾** [سورة المائدة: ٥٤]، **قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه، فى قتالهم المرتدين، وما نعى الزكاة**[٢].

وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين، مكة، والمدينة، وارتدت أسد، وغطفان، وعليهم طليحة بن خويلد الأسدى الكاهن، وارتدت كِنْدَة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكِنْدى، وارتدت مُذْحِج ومن يليها، وعليهم الأسود بن كعب العَنْسِي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المغرور ابن النعمان بن المنذر، وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب، وارتدت

---

[١] تاريخ دمشق ٦٩٢/٩.

[٢] تفسير الطبري ٢٨٢/٦ - ٢٨٣.

سُليم مع الفجاءة، واسمه إياس[١] بن عبدا لله بن عبد ياليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة [٢].

وقال القاسم بن محمد: اجتمعت أسد وغطفان وطئ على طليحة الأسدى، وبعثوا وفودا إلى المدينة، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس، فحملوا بهم إلى أبي بكر، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم ا لله لأبى بكر على الحق وقال: لو منعونى عقالا لجاهدتهم، فردهم فرجعوا إلى عشائرهم، فأخبروهم بقلة أهل المدينة، وطَمَّعُوهم فيها، **فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون ليلا يأتون أم نهاراً، وأدناهم منكم على بريد**، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم، فاستعدوا وأعدوا، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة، وخلفوا نصفهم بذى حُسىً ليكونوا ردءاً لهم، وأرسل الحرسُ إلى أبى بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم: أن الزموا مكانكم. وخرج أبو بكر فى أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفشّ العدو، واتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسى فخرج عليهم الردء فالتقوا مع الجمع فكان الفتح[٣].

---

[١] في الأصل أنس والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/٢٦٤).

[٢] انظر نحوه في تاريخ الطبري ٣/٢٤٢.

[٣] انظر تاريخ الطبري ٣/٢٤٤.

غزو الصديق للمرتدين حول المدينة:

وفى جمادى الآخرة من سنة احدى عشرة ركب الصديق فى أهل المدينة وأمراء الأنقاب، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بنى عَبْس، وبنى مُرّة، وذُبْيان، ومن تأشب معهم من بنى كنانة، وأمدهم طليحة بابن أخيه[1] حِبَال، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهى أنهم عمدوا إلى أنحاءٍ[2] فنفخوها ثم ارسلوها من رءوس الجبال، فلما رأتها إبل أصحاب الصديق نفرت وذهبت كل مذهب، فلم يملكوا من أمرها شيئاً إلى الليل، وحتى رجعت إلى المدينة. فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحى أخر، فاجتمعوا، وبات أبو بكر رضي الله عنه قائماً ليله يعبئ الناس، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل، وعلى ميمنته النعمان بن مُقَرن، وعلى الميسرة أخوه عبدالله بن مقرن، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو فى صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حسا ولا همساً، حتى وضعوا فيهم السيوف، فما طلعت الشمس حتى ولوهم الأدبار؛ وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقُتِل حِبَالُ، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القَصَّة[3]، وكان أول الفتح، وذل بها المشركون، وعزّ بها المسلمون، وكانت بنو ذبيان وعبس قد وثبوا على من

---

[1] فى الأصل: بابنه والتصحيح من تاريخ الطبري ٣/١٨٦، ٢٤٤.

[2] النحي: هو الزق ينفخ بالهواء ثم يُدَهده فيحدث صوتاً تنفر منه الإبل. (انظر اللسان ١٥/٣١١).

[3] ذو القَصّة: موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد، خرج إليه الصديق فعقد الألوية وقطع الجنود لقتال المرتدين (ياقوت، معجم البلدان ٤/٣٦٦).

فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل مَنْ وراءهم كفعلهم، فحلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة. فكانت هذه الوقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عَزّ المسلمون فى كل قبيلة، وذل الكفار فى كل قبيلة، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيداً منصوراً، سالماً غانماً[١].

وطرقت المدينة فى الليل صدقات عدي بن حاتم، وصفوان، والزبرقان، إحداها فى أول الليل، والثانية فى أوسطه، والثالثة فى آخره، وقدم بكل واحدة منهن بشير من أمراء الأنقاب، فكان الذى بشر بصفوان، سعد ابن أبى وقاص، والذى بشر بالزبرقان، عبد الرحمن بن عوف، والذى بشر بعدي بن حاتم، عبدا لله بن مسعود، ويقال: أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول ا لله ﷺ[٢].

رجوع جيش أسامة وخروج الصديق مرة أخرى:

ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليال، فاستخلفه أبو بكر على المدينة، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم، ثم ركب أبو بكر فى الذين كانوا معه، فى الوقعة المتقدمة، إلى ذى القَصّة، فقال له المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلاً، فقال: وا لله لا أفعل، ولأواسينكم بنفسى، فخرج فى تعبئته، إلى ذى حُسىً[٣] وذى القَصّة، والنعمان، وعبدا لله، وسويد، بنو

---

[١] تاريخ الطبري ٣/٢٤٦.

[٢] المصدر نفسه ٣/٢٤٧، وصفوان المذكور هنا هو صفوان بن صفوان بن أسيد التميمي كان عامل النبي ﷺ على بني عمرو بطن من تميم، وانظر ترجمته في الإصابة لابن حجر ٣/٤٣٥.

[٣] حُسىً: بالضم والقصر، واد بأرض الشربه من ديار عبس وغطفان (معجم البلدان ٢/٢٥٨).

مقرن على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الرَّبَذة بالابرق، وهناك جماعة من بنى عبس وذبيان، وطائفة من بنى كِنَانة فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفاً، وأخِذَ الحطيئةُ أسيراً، فطارت بنوعبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق[١] اياماً وقد غلب بنى ذبيان على البلاد، وقال: حرام على بنى ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد، إذ غَنّمناها الله، وحمى الابرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربذة للناس. ولما فَرّت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طليحه وهو نازل على بُزاخة[٢]، وقد قال فى يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويومٍ بالأبارق قد شَهِدْنا ... على ذُبيانَ يلتهبُ التهاباً

أتيناهم بداهيةٍ نَسُوفٍ ... مع الصديق اذ تركَ العِتَابا[٣]

خروج الصديق إلى ذى القَصّة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر:

بعد ماجم جيش أسامة واستراحوا، ركب الصديق فى الجيوش الإسلامية شاهراً سيفه مسلولا، من المدينة إلى ذى القَصّة، وهى من المدينة على مرحلة، وعلى بن أبي طالب يقود براحلة الصديق رضي الله عنهما، فسأله الصحابة، منهم عليّ وغيره، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال، فأجابهم إلى ذلك وعقد لهم الألوية لآحد عشر أميراً.

---

[١] الأبرق: موضع في الربذة، ويقال أبرق الرّبذة، وهو من منازل بني ذبيان (ياقوت، مصدر سابق ١/٦٨).

[٢] بزاخة: ماء لبني أسد بأرض نجد (المصدر السابق ١/٤٠٨).

[٣] راجع تاريخ الطبري ٣/٢٤٧ - ٢٤٨ والخبر من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

١ - عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فاذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبُطاح إن أقام له.

٢ - ولعكرمة بن أبى جهل، وأمره بمسيلمة.

٣ - وبعث شُرَحْبِيل بن حَسنَة فى أثر عكرمة إلى مسيلمة الكذاب.

٤ - وللمهاجر بن أبي أمية، وأمره بجنود العَنْسِى ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح وذلك لأنه كان قد نزع يده من الطاعة.

٥ - ولخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام.

٦ - ولعمرو بن العاص إلى جُماع قُضَاعة، ووديعة، والحارث.

٧ - ولحذيفة بن مِحْصَن الغَلْفَاني[١] وأمره بأهل دَبا[٢].

٨ - ولعرفَجة بن هَرْثَمة[٣] وأمره بمَهْرة[٤].

٩ - ولِطُرَيفة بن حاجز[٥] وأمره ببنى سُليم ومن معهم من هوازن.

١٠- ولسويد بن مُقَرّن، وأمره بتهامة اليمن.

١١ - وللعلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين.

---

[١] في الأصل الغطفاني: والتصحيح من تاريخ الطبري (٢٤٩/٣).

[٢] دبا: بفتح أوله مع القصر، سوق من أسواق العرب بعُمان (ياقوت، مصدر سابق ٤٣٥/٢).

[٣] في الأصل: وبعرفجة وهرثمه وغير ذلك. والتصحيح من تاريخ الطبري (٢٤٩/٣) وراجع ترجمته في الإصابة لابن حجر ٤٨٥/٤.

[٤] مَهْرة: بالفتح ثم السكون، قبيلة باليمن تنسب إليها الإبل المهرية، ولهم مخلاف بين عمان وحضرموت (انظر ياقوت، مصدر سابق ٢٣٤/٥).

[٥] في الأصل طرفة بن حاجب والتصحيح من تاريخ الطبري (٢٤٩/٣) وانظر ترجمته في الإصابة لابن حجر ٥١٨/٣.

المنشور الموجه إلى المرتدين:

وقد كتب لكل أمير كتاب عهده على حِدَتِه، فَفَصَل كل أمير بجنده من ذى القَصّة، ورجع الصديق إلى المدينة، وقد كتب معهم الصديق كتاباً إلى المرتدة وهذه نسخته:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا، من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا الله هو، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونُكَفر من أبى ذلك ونجاهده. أما بعد فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده، إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طَوْعاً أوكَرْهاً. ثم توفى الله رسولَه، وقد نفذ لامر الله، ونصح لأمته، وقضى الذى عليه، وكان الله قد بين له ذلك، ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل فقال: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [سورة الزمر: ٣٠] وقال:﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾ [سورة الأنبياء: ٣٤] وقال للمؤمنين ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾ [سورة آل عمران:١٤٤] فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله فإن الله حَيٌ لا يموت، ولا تأخذه سِنَة ولا نوم، حافظ لأمره،

منتقم من عدوه. وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يُعِنْه الله مخذول، ومن هداه غير الله كان ضالاً، قال الله تعالى: ﴿**من يهد الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا**﴾ [سورة الكهف: ١٧] ولن يقبل منه في الدنيا عمل حتى يُقِرّ به، ولم يقبل منه فى الآخرة صَرْفُ ولا عَدْلُ. وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عَدُوّ بئس للظالمين بدلا**﴾ [سورة الكهف: ٥٠] وقال: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾ [سورة فاطر: ٦] وإني بعثت إليكم (.....) في جيش من المهاجرين والأنصار، والتابعين بأحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحد الا الايمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل، فإن أجاب وأقر وعمل صالحاً قبل منه، وأعانه عليه، وإن أبى حاربه عليه حتى يفئ إلى أمر الله، ثم لا يُبْقِي على أحد منهم قَدِرَ عليه، وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم كل قِتْلَة، وأن يسبى النساء والذرارى، ولا يقبل من أحد الا الاسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه فى كل مجمع لكم، والداعية الأذان؛ فاذا أذن المسلمون كُفُّوا

عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجِلُوهم، وإن أذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجِلوهم، وإن أقروا قَبِلَ منهم وحَمَلهم على ما ينبغي لهم[١].

خروج الأسود العَنْسِي في اليمن فى حياة رسول الله ﷺ:

واسمه عَبْهَلَة بن كعب بن غوث - من بلد يقال لها: كَهْفُ خُبَّان[٢] - فى سبعمائة مقاتل، وكتب إلى عمال النبي ﷺ: أيها المتوردُون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفِّروا ما جمعتم، فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه، ثم ركب فتوجه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليال من مخرجه، ثم قصد إلى صنعاء، فخرج إليه شهر بن باذام فتقاتلا، فغلبه الاسود وقتله، وكسر جيشه من الأبناء واحتل بلدة صنعاء لخمس وعشرين ليلة من مخرجه، ففر معاذ بن جبل من هنالك واجتاز بأبى موسى الأشعرى، فذهبا إلى حضرموت وانحاز عمال رسول الله ﷺ إلى الطاهر بن أبى هالة، ورجع عمرو بن حزم[٣]، وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، واستوثقت اليمن بكمالها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير استطارة الشرارة، وكان جيشه يوم لقى شهراً سبعمائة فارس، وأمراؤه: قيس بن عبد يغوث، ومعاوية بن قيس، ويزيد بن محرم، ويزيد بن حصين

---

[١] أخرجه الطبري في تاريخه من طريق سيف بن عمر ٢٥٠/٣. وانظر نحوه في تاريخ الرده، المستخرج من كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي، اقتباس وتهذيب، خورشيد أحمد فاروق ص٢٧ (ط٢، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة).

[٢] خُبّان: بضم أوله وتشديد ثانيه: قرية باليمن في واد يقال له وادي خبان قرب نجران (ياقوت، مصدر سابق ٣٤٣/٢). ذكره المصنف في ٣٠٧/٦ وما بعدها.

[٣] في الأصل: عمر بن حرام وهو تصحيف والصواب عمرو بن حزم كما في تاريخ الطبري ٢٢٨/٣.

الحارثي[1]، ويزيد بن الأفْكَل الأزدي، واشتد ملكه، واستغلظ أمره، وارتد خلق من أهل اليمن، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقية، وكان خليفته على مذحج، عمرو بن معدى كرب، واسند أمر الجَنَدَ إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمي، وداذويه، وتزوج بامرأة شهر ابن باذام وهى ابنة عم فيروز الديلمي، واسمها ازاذ، وكانت امرأة حسناء جميلة، وهى مع ذلك مؤمنة با لله ورسوله محمد ﷺ، ومن الصالحات.

مواجهة الأسود العنسي وقتله:

قال سيف بن عمر التميمي: بعث رسول ا لله ﷺ كِتَابه، حيث بلغه خبر الأسود العنسي مع رجل يقال له: وَبَرُ بن يُحَنَّس الديلمي. يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنْسِى ومصاولته،وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتم القيام، وكان قد تزوج امرأة من السَّكون يقال لها: رَمْلَة، فحزبت عليه السكون لصهره فيهم، وقاموا معه فى ذلك، وبلّغوا هذا الكتاب إلى عُمّال النبي ﷺ، ومن قَدَرُوا عليه من الناس، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجُنْد - وكان قد غضب عليه الأسود، واستخف به، وَهَمّ بقتله - وكذلك كان أمر فيروز الديلمي، قد ضعف عنده ايضاً، وكذا داذويه، فلما أَعْلمَ وَبَرُ بن يُحنسّ قيسَ بن عبد يغوث، وهو قيس بن مكشوح، كان كأنما نزلوا عليه من السماء، ووافقهم على الفتك بالأسود، وتوافق المسلمون على ذلك، وتعاقدوا عليه، فلما أيقن ذلك فى الباطن اطلع شيطانُ الأسودِ الأسودَ على شئ من ذلك، فدعا قيس بن مكشوح،

[1] في الأصل: يزيد بن محرم بن حصين. والتصحيح من تاريخ الطبري ٣/٢٣٠.

فقال له: يا قيس ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال يقول: عمدَتّ إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل، وصار فى العِزّ مثلك، مال ميل عدوك، وحاول مُلْكَك، وأضمر على الغدر، إنه يقول: يا أسود ياسوءة، أقطف قُنّته وخذ من قيس أعلاه، وإلا سَلَبَك وقَطَف قُنّتَك. فقال قيسٍ وحلف به: كَذَبَ وذى الخِمَار لأنت أعظم فى نفسي وأجلُّ عندى من أن أُحدث بك نفسي، فقال له الأسود: ما أجفاكَ! تُكَذِّبُ المَلَكَ، فقد صدَقَ المَلَكُ، وعرفتُ الآن أنك تائب مما اطَّلع عليه مِنْكَ.

ثم خرج قيس من بين يديه فجاء إلى أصحابه فيروز، وداذويه، وأخبرهم بما قال له، ورَدّ عليه، فقالوا: إنا كلنا على حَذَرٍ، فما الرأي، فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه، فقال: ألم أشرفكم على قومِكم؟ قالوا: بلى، قال: فماذا يبلغني عنكم؟ فقالوا: أَقِلْنا مَرّتَنَا هذه، فقال: لا يبلغني عنكم فأقِيَلكم، قال: فخرجنا من عنده و لم نكد، وهو في ارتياب من أمرنا، ونحن على خطر، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر، أمير هَمْدان، وذي ظُليم، وذي كَلاَع، وغيرهم من أمراء اليمن، يبذلون لنا الطاعة والنصر على مخالفة الاسود، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مصاولة الاسود العنسي، فكتبنا اليهم أن لا يحدثوا شيئا حتى نُبْرِمَ الأمر، قال قيس: فدخلتُ على امرأته ازاذ، فقلت: ياابنة عمي قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وفضح النساء، فهل عندك ممالأة عليه؟ فقالت: على أي أمر؟ قلت إخراجه، قالت: أو قتله، قلت: أو قتله، قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصا هو أبغض إلي منه، فما يقوم لله على حق ولا ينتهي له عن حرمة، فاذا عزمتم أخبروني

أعلمكم بما في هذا الأمر، قال فأخرج فاذا فيروز وداذويه، ينتظراني يريدون أن يناهضوا، فما استقر اجتماعه بهما حتى بعث إليه الأسود، فدخل في عشرة من قومه، فقال: ألم أخبرك بالحق وتخبرني بالكِذَابة؟ إنه يقول: يا سوأة يا سوأة، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك العليا، حتى ظَنّ قيسُ أنه قاتله، فقال: إنه ليس من الحق أن أقتلك[1] وأنت رسول الله، فقتلي أحبُّ إليّ من موتات أموتها كل يوم، فَرَقّ له وأمره بالانصراف، فخرج إلى أصحابه فقال: اعملوا عملكم، فبينما هم وقوف بالباب يشتورون، إذ خرج الأسود عليهم وقد جُمِع له مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخط خطًا وأقيمت من ورائه، وقام دونها، فنحرها، غير مُحَبّسة ولا معَقّلة، ما يقتحم الخط منها شيء، فجالت إلى أن زهقت أرواحها، قال قيس: فما رأيت أمراً كان أفظع منه، ولا يوما أوحش منه، ثم قال الأسود: أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ لقد هممت أن أنحرك فألحقك بهذه البهيمة، وأبدى له الحربة، فقال له فيروز: اخترتنا لصهرك، وفضّلتنا على الأبناء، فلو لم تكن نبياً ما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدنيا؟! فلا تَقْبَل علينا أمثال ما يبلغك، فإنا بحيث تحب، فرضي عنه وأمره بقسم لحوم تلك الانعام، ففرقها فيروز في أهل صنعاء، ثم أسرع اللحاق به، فأذا رجل يحرضْه على فيروز ويسعى إليه فيه، واستمع له فيروز، فاذا الاسود يقول: أنا قاتله غداً وأصحابه، فاغد عليّ به، ثم التفتَ فاذا فيروز، فقال: مَهْ، فأخبره فيروز بما صنع من قسم ذلك اللحم، فدخل الاسود داره، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمع، وبما قال، وقيل له، فاجتمع رأيهم على أن عَاوَدُوا المرأة في أمره،

[1] في الأصل: أهلك، والتصحيح من تاريخ الطبري ٢٣٣/٣.

فدخل أحدهم - وهو فيروز - إليها قالت: إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به، غير هذا البيت، فإن ظَهْره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فأذا أمسيتم فانقبوا عليه مِنْ دُون الحرس، وليس من دون قتله شيء، وإني سأضع في البيت سراجا وسلاحا، فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ ووجأ رأسه، وكان الأسود شديدا، فصاحت المرأة فأدهشته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائرًا، فقال: اسكتي لا أبالك، قد وهبته لك، فخرج على أصحابه فقال: النجاء النجاء، وأخبرهم الخبر، فحاروا ماذا يصنعون؟ فبعثت المرأة إليهم تقول لهم: لا تثنوا عما كنتم عازمين عليه، فدخل عليها فيروز الديلمي فاستثبت منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج، ثم جلس عندها جَهْرةً كالزائر، فدخل الأسود فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي من الرضاعة، وهو ابن عمي، فنهره وأخرجه، فرجع إلى أصحابه، فلما كان الليل، نقبوا ذلك البيت فدخلوا فوجدوا فيه سراجاً تحت جفنة، فتقدم إليه فيروز الديلمي والأسود نائم على فراش من حرير، قد غرق رأسه فى جسده، وهو سكران يغط، والمرأة جالسة عنده، فلما قام فيروز على الباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه - وهو مع ذلك يغط - فقال: مالى ومالك يافيروز؟ فخشى إن رجع يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ رأسه فَدَقّ عنقه، ووضع ركبتيه فى ظهره حتى قتله، ثم قام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم، فأخذت المرأة بذيله وقالت: اين تذهب عن حرمتك؟ فظنت أنه لم يقتله، فقال: أخرج لأعلمهم بقتله، فدخلوا عليه ليحتزوا رأسه، فحرّكه شيطانه فاضطرب، فلم يضبطوا أمره حتى جلس

اثنان على ظهره، وأخذت المرأة بشعره، وجعل يُبَربِر بلسانه، فاحتز الآخر رقبته، فخار كاشد خوار ثور سُمِع قط، فابتدر الحرس إلى المقصورة، فقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبى يوحى إليه، فرجعوا.

إعلان قتله:

جلس قيس، وداذويه، وفيروز، يأتمرون كيف يعلمون أشياعهم، فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذى بينهم وبين المسلمين، فلما كان الصباح قام أحدهم، وهو قيس على سور الحصن فنادى بشعارهم، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن، فنادى قيس ويقال: وَبَرُ بن يُحَنّس، بالأذان: أشهد أن محمداً رسول الله، وأن عبهلة كذاب، وألقى إليهم رأسه، فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق، ياسرونهم، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وتنازع أولئك الثلاثة فى الأمارة، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل يصلى بالناس، وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته، كما قال سيف بن عمر التميمي عن أبى القاسم الشَّنَويّ عن العلاء بن زياد، عن ابن عمر قال: أتى الخبرُ إلى النبىّ ﷺ من السماء الليلة التى قُتِل فيها العنسى ليبشرنا، فقال: قُتِلَ العنسىُ البارحة قَتَلَه رجلٌ مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن؟ قال: فيروز، فاز فيروز[1].

وروى سيف بن عمر بسنده عن فيروز: قال: قتلنا الأسود، وعاد أمرنا فى صنعاء كما كان إلا أنا ارسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه،

[1] ذكر هذا الخبر الحافظ ابن حجر في ترجمة فيروز في كتاب الإصابة ٥٨١/٥ ونسبه إلى سيف في الفتوح وسيف بن عمر التميمي ضعيف في الحديث.

فكان يصلى بنا فى صنعاء، فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثة ايام حتى اتانا الخبر بوفاة رسول الله ﷺ، فانتقضت الأمور، وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرف، واضطربت الأرض. وقد جاء خبر العَنْسِي إلى الصديق فى أواخر ربيع الأول[1] بعد ما جَهّز جيش اسامة، وقيل: بل جاءت البشارة إلى المدينة صبيحة توفي رسول الله ﷺ، والأول أشهر والله اعلم. والمقصود أنه لم يجبهم فيما يتعلق بمصالحهم واجتماع كلمتهم وتأليف ما بينهم والتمسك بدين الإسلام إلا الصديق رضي الله عنه.

قال أبو جعفر بن جرير: حدثنى عُمر بن شَبّة النميري، ثنا علي بن محمد - يعنى المدائني - عن أبى مَعْشر ويزيد بن عياض بن جعد به، وغسان ابن عبد الحميد، وجويرية بن أسماء، عن مشيختهم قالوا: أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد فى آخر ربيع الأول، وأتى مقتل الأسود فى آخر ربيع الأول بعد مخرج اسامة، فكان ذلك أول فتح أتى أبابكر وهو بالمدينة[2].

ردّةُ أهلُ اليمنِ بَعد وفاةِ رسول الله ﷺ:

قدمنا أن الأسود العَنْسِى لعنه الله لما نبغ باليمن، أضل خلقا كثيراً من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتد كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام، وأنه قتله الأمراء الثلاثة، قيس بن مكشوح، وفيروز الديلمي، وداذويه، ولما بلغهم موت رسول الله ﷺ، ازداد بعض أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحَيرةِ والشّك، أجارنا الله من ذلك، وطمع قيس بن مكشوح فى الإمرة

---

[1] كان أول خروجه في بداية سنة إحدى عشرة من الهجرة.

[2] تاريخ الطبري ٣/٢٤٠.

باليمن، فعمل لذلك، وارتد عن الإسلام وتابعه عوام أهل اليمن، وكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن ان يكونوا عونا إلى فيروز والأبناء على قيس بن مكشوح، حتى تأتيهم جنوده سريعا، وحرص قيس على قتل الأميرين الأخرين، فلم يقدر إلا على داذويه، واحترز منه فيروز الديلمي، وذلك أنه عمل طعاماً وأرسل إلى داذويه أولاً، فلما جاءه عَجِلَ عليه فقتله، ثم أرسل إلى فيروز ليحضر عنده فلما كان ببعض الطريق سمع امرأة تقول لآخرى: وهذا أيضا والله مقتول كما قُتِلَ صاحبه، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل داذويه، وخرج إلى أخواله خَوْلان فتحصن عندهم وساعدته، عُقَيل، وعَكّ، وخلق، وعمد قيس إلى ذرارى فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن، وأرسل طائفة فى البر وطائفة فى البحر، فاحتد فيروز فخرج فى خلق كثير، فتصادف هو وقيس فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم قيساً وجندَه من العوام، وبقية جند الأسود العنسى، فهزموا فى كل وجه، وأُسِر قيس، وعمرو بن معدى كرب، وكان عمرو قد ارتد أيضاً، وبايع الأسود العنسى، وبعث بهما المهاجر بن أبى أمية إلى أبى بكر أسيرين، فعنّفهما وأنّبهما، فاعتذرا إليه فقبل منهما علانيتهما، ووكل سرائرهما إلى الله عز وجل، وأطلق سراحهما وردّهما إلى قومهما.

مسير خالد بن الوليد من ذى القَصّة لقتال المرتدين:

روى الامام أحمد من طريق وَحْشِي بن حرب، أن ابا بكر الصديق لما عقد لخالد ابن الوليد على قتال أهل الردة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نِعْمَ عبدالله وأخو العشيرة، خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سَلّه الله على الكفار والمنافقين[1]. ولما توجه خالد من ذى القَصّة وفارقه

[1] مسند أحمد ١٧٣/١ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

الصديق، واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولا إلى طليحة الأسدى، ثم يذهب بعده إلى بنى تميم، وكان طليحة بن خويلد فى قومه بنى أسد، وفى غطفان، وانضم إليهم بنو عَبْس وذبيان، وبعث إلى بنى جَدِيلة والغَوث من طئ يستدعيهم إليه، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم، ليلحقوهم على أثرهم سريعا، وكان الصديق قد بعث عَديّ بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عَدِي إلى قومه بنى طئ فأمرهم أن يبايعوا الصديق، وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفَصِيل[1] أبداً - يعنون أبا بكر رضي الله عنه - فقال: والله ليأتينكم جيشه فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدى يَفْتِل لهم فى الذُّروة والغارب حتى لانوا، وجاء خالد فى الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه: ثابت بن قيس بن شَمّاس، وبعث بين يديه، ثابت بن أَقْرَم، وعُكّاشة بن محصن، طليعة، فتلقاهما حِبَال - ابن أخي طليحة، فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة، فلما وجدا ثابتا وعُكّاشة تبارزوا، وحمل طليحة على عُكَاشة فقتله، وقتل سلمة، ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين، فشق ذلك على المسلمين.

ومال خالد إلى بنى طئ، فخرج إليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة ايام، فإنهم قد استنظرونى حتى يبعثوا إلى من تَعجّل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحبّ إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي فى خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق، فانضافوا إلى جيش خالد

[1] في الأصل أبا الفضل والتصحيح من تاريخ الطبري ٣/٢٥٥. والفصيل هو ولد الناقة.

وقصد خالد بنى جَدِيلة فقال له: يا خالد؛ أجّلْنِى أياما حتى آتيهم، فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ الغوث[1] فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه، فجاء باسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه، رضي الله عنهم.

معركة بُزَاخَه والقضاء على بنى أسد:

ثم سار خالد حتى نزل بأجا وسلمى، وعَبّى جيشه هنالك والتقى مع طليحة الاسدى بمكان يقال له: بُزَاخة، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة فيمن معه من قومه، ومن التف معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عُيَيْنَة بن حِصْن، فى سبعمائة من قومه بنى فَزَارة، واصطف الناس، وجلس طليحة ملتفا فى كساء له يتنبأ لهم، ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عيينة يقاتل ما يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال يجئ إلى طليحة وهو ملتف فى كسائه فيقول: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك، ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان فى الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحا كرحاه، وحديثاً لا تنساه، قال يقول عيينة: أظن أن قد علم الله سيكون لك حديثا لا تنساه، ثم قال: يا بنى فَزَارة انصرفوا، وانهزم، وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون،

[1] الأصل طيئاً، والتصحيح من تاريخ الطبري ٣/٢٥٤. وجديلة والغوث فرعان من طئ (راجع ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٣٩٨ - ٤٠٠)

ركب على فرس كان قد أعدها له، وأركب امرأته النَّوار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه[١].

وقد كان طليحة الأسدى ارتد فى حياة النبي ﷺ، فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عيينة بن حصن بن بدر، وارتد عن الاسلام، وقال لقومه: والله لنبى من بني أسد أحبّ إليّ من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه، فوافق قومه بنو فَزَارة على ذلك، فلما كسرهما خالد هرب طليحة بامرأته إلى الشام، فنزل على بنى كَلْب، وأسر خالد عيينة بن حصن، وبعث به إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك. فلما وقف بين يدى الصديق استتابه وحقن دمه، ثم حسن إسلامه بعد ذلك.

وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك أيضاً ـ وذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق، واستحي أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد: أن استشره فى الحرب ولا تؤمره - يعنى معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة فى الباطن ـ وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحى، فقال: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصُّرَد الصَّوَّام، قد صمن قبلكم بأعوام، لَيَبلُغَن ملكنا العراق والشام[٢] وإلى ذلك من الخرافات والهذيانات السمجة.

---

[١] أخرج الخبر الطبري في تاريخه ٣/٢٥٥ من طريق محمد بن اسحاق.

[٢] أخرج قول طليحة، الطبري في تاريخه ٣/٢٦٠ من طريق سيف بن عمر.

كتاب الصديق إلى خالد بعد هزيمة طليحة بن خويلد:

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان فى صفه وقام بنصره فكتب إليه: ليزدك ما أنعم الله به خيراً، واتق الله فى أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جِدّ فى أمرك ولا تلن، ولا تظفر باحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نَكّلْت به.

فأقام خالد ببزاخة شهراً يُصَعد عنها ويصوّب، ويرجع إليها فى طلب الذين وصاه الصديق، فجعل يتردد فى طلب هؤلاء شهراً يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حَرّقه بالنار، ومنهم من رَضَخه بالحجارة، ومنهم من رَمَى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب[1].

وفد بنى أسد وغطفان إلى الصديق وحكمه عليهم:

وقال الثوري: عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: لما قدم وفد بُزَاخة - اسد وغطفان - على أبى بكر يسألونه الصلح، خَيّرهم أبو بكر بين حرب مُجلِية أو خُطّة مخزية، فقالوا: ياخليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكُرَاع، وتتركون أقواماً تتبعون أذناب الإبل، حتى يُرِى الله خليفة نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا نؤدى ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا،

---

[1] المصدر نفسه ٣/٢٦٣.

ولاندى قتلاكم، فقال عمر: أما قولك تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، فامتنع عمر وقال عمر في الثاني: نِعْم ما رأيت. ورواه البخاري[١] من حديث الثورى بسنده مختصراً.

قِصّةُ أمّ زِمْل:

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفُلاّل من اصحاب طليحة، من بني غطفان فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها: أم زِمْل - سلمى بنت مالك بن حذيفة في مكان يسمى ظَفَر[٢] - وكانت من سيدات العرب، كأمها أمّ قِرْفة[٣]، وكان يضرب بأمها المثل في الشرف لكثرة أولادها، وعزة قبيلتها وبيتها، فلما اجتمعوا إليها ذمرتهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك، وتأشب إليهم آخرون من بني سُلَيم، وطئ، وهوازن، واسد، فصاروا جيشاً كثيفاً، وتفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، وهي راكبة على جمل أمها الذى كان يقال له: من نخس جملها فله مائة من الإبل، وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصديق رضي الله عنه[٤].

---

[١] صحيح البخاري كتاب الأحكام، باب الاستخلاف ١٣/٢٠٦ من فتح الباري) وقد أورد الحافظ ابن حجر الخبر مطولاً نقلاً عن كتاب الحميدي، الجمع بين الصحيحين، وقال: وقد أورده أبو بكر البرقاني في مستخرجه. وانظر المصنف لابن أبي شيبة ١٤/٥٧١.

[٢] اسم موضع قرب الحوأب في طريق البصرة إلى المدينة، اجتمع عليه فُلاّل طليحة يوم بُزَاخة (ياقوت: ٤/٦٠ مصدر سابق).

[٣] انظر تاريخ الطبري ٣/٢٦٣.

[٤] قارن بتاريخ الطبري ٣/٢٦٤.

قِصّة الفُجَاءة:

واسمه إياس بن عبدا لله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُفَاف من بنى سُليم، قاله ابن إسحاق. وقد كان الصديق حَرّق الفجاءة بالبقيع فى المدينة، وكان سببه أنه قدم عليه فزعم أنه أسلم، وسأل منه أن يجهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة، فجهز معه جيشاً، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشاً فَرَدّه، فلما أمكنه ا لله منه، بعث به إلى البقيع[1]، فجمعت يداه إلى قفاه وألقى فى النار، فحرقه وهو مقموط[2].

سَجَاحُ وبنو تميم:

كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم ايام الردة، فمنهم من ارتد ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق، ومنهم من توقف لينظر فى أمره، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد ابن عُقْفَان التغلبية من الجزيرة، وهى من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومَنْ التف بهم، وقد عزموا على غزو أبى بكر الصديق، فلما مرت ببلاد بنى تميم دعتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها، مالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وجماعة من سادات أمراء بنى تميم، وتخلّف آخرون منهم عنها، ثم اصطلحوا على أن لا حرب بينهم، إلا أن مالك بن نويرة لما وادعها ثناها عن عزمها، وحَرّضها على بنى يربوع، ثم اتفق الجميع على قتال الناس،

---

[1] في تاريخ الطبري (٣/٢٦٤) أو قد له ناراً في مصلى المدينة.

[2] أي شُدّت يداه ورجلاه كهيئة المِهَاد للطفل. (مختار الصحاح، ص٥٥١).

وقالوا: بمن نبدأ؟ فقالت لهم فيما تسجعه: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب[١]، فليس دونهم حجاب.

ثم استطاع بنو تميم اقناعها بقصد اليمامة، لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب، فهابَه قومُها وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة * دفوا دفيف الحمامة * فإنها غزوة صَرّامة * لا تلحقكم بعدها ملامة * قال: فعمدوا لحرب مسيلمة، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثُمَامة بن أُثَال[٢]، وقد ساعده عكرمة بن أبى جهل بجنود المسلمين، وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذى كان لقريش لو عدلت، فقد رده الله عليك فحباك به، وراسلها ليجتمع بها فى طائفة من قومه، فركب إليها فى أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا في خيمة، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض، وقبلت ذلك، قال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذا طمع، ولا يزال أمره فى كل ما يسر مجتمع .

ثم قال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم رجعت إلى قومها فقالوا: ما

---

[١] الرباب: فرع من بني تميم وتنقسم إلى قسمين، بنو ضَبّة، وبنو عبد مناة (تاريخ الطبري، ٣/٢٧٠).

[٢] هو ثمامة بن أثال بن النعمان الحنفي أبو أمامة اليمامي، جىء به أسيراً إلى المدينة فربط في سارية المسجد، فأطلقه رسول الله فأسلم وحسن اسلامه. ثم ثبت على ذلك وقاوم الردة في بنى حنيفة ثم انضم إلى العلاء ابن الحضري في البحرين وجاهد معه المرتدين، (انظر ترجمته في ابن حجر: الاصابة (١/٤١٠).

أصدقك؟ فقالت: لم يصدقنى شيئاً، فقالوا: إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق، فبعثت إليه تسأله صداقاً، فقال: ارسلى إلىّ مؤذنك، فبعثته إليه، وهو شبث بن ربعى الرياحي - فقال: ناد فى قومك: أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد - يعنى صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة - فكان هذا صداقها عليه، ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة فكرّت راجعة إلى الجزيرة بعد ما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه، فأقامت فى قومها بنى تغلب، إلى زمان معاوية، فأجلاهم منها عام الجماعة.

وقال عطارد بن حاجب التميمي:

أمستْ نبيّتُنا أنثى نَطيفُ بها ... وأصبحت أنبياءُ الناسِ ذُكْرَانا

خبر مالك بن نويرة اليربوعي التميمي وقومه:

كان مالك قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة ثم ترحلت إلى بلادها، ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوم فى شأنه، وهو نازل بمكان يقال له: البُطاح[1]، فقصده خالد بجنوده وتأخرت عنه الأنصار، وقالوا: إنا قد قضينا ما أمرنا به الصديق، فقال لهم خالد: ان هذا أمر لابد من فعله، وفرصة لابد من انتهازها، وإنه لم يأتنى فيها كتاب، وأنا الأمير وإلىّ ترد الأخبار، ولست بالذى أجبركم على المسير، وأنا قاصد البُطاح. فسار يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار، فلحقوا به، فلما وصل البطاح وعليها مالك

[1] البطاح: بضم أوله، ماء في ديار بنى أسد بأرض نجد (ياقوت، مصدر سابق، ١/٤٤٥).

ابن نويرة، بَثّ خالد السرايا فى البُطَاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بنى تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة، فإنه متحير فى أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة ـ الحارث بن ربعى الأنصارى ـ أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا، فيقال إن الأسارى باتوا فى كبولهم فى ليلة شديدة البرد، فنادى منادى خالد: أن أدفِئُوا أسراكم. فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار ابن الأزور[1]، مالك بن نويرة، فلما سمع خالد الواعية خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

ويقال: بل استدعى خالدُ مالكَ بن نويرة فأنّبه على ما صدر منه من متابعة سَجَاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحِبَكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فَضُرِبت عنقه، وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا فى ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق، وتكلم عمر مع أبى قتادة فى خالد، وقال للصديق: اعزله فإن فى سيفه رَهَقاً، فقال أبو بكر: لا أشيم سيفا سَلّه الله على الكفار، وجاء متمم بن نويرة، فجعل يشكو إلى الصديق خالداً، وعمر يساعده، وينشدَ الصديق ما قال فى أخيه من المراثى، فوداه الصديق من عنده.

---

[1] هو ضرار بن الأزور بن مالك بن جذيمة من بنى أسد بن خزيمة، صحابي مشهور، انظر ترجمته عند ابن حجر في الاصابة (٣/٤٨١).

و لم يزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرض الصديق ويحمله على عزل خالد عن الإمرة ويقول: إن فى سيفه لرهقاً، حتى بعث الصديق إلى خالد ابن الوليد فقدم عليه المدينة، وقد لبس دِرْعه التى من حديد، وقد صَدِئَ من كثرة الدماء فدخل على أبي بكر، فاعتذر إليه، فعذره وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك، واستمر أبو بكر بخالد على إلامرة، وإن كان قد اجتهد فى قتل مالك بن نويرة وأخطأ فى قتله، كما أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى بنى جذِيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا: صبأنا صبأنا، و لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فوداهم رسول الله ﷺ حتى رَدّ إليهم مِيْلَغَة الكلب، ورفع يديه وقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد[1] ومع هذا لم يعزل خالداً عن الإمرة.

معركة عَقْرَباء باليمامه ومقتل مُسَيْلَمة الكذاب:

لما رضى الصديق عن خالد بن الوليد، وعذره بما اعتذر به، بعثه إلى قتال بنى حنيفة باليمامة وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شَمّاس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نَكّل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشردهم وأمر باخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصديق خالدا بسرية لتكون ردءاً له من ورائه، وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة، عكرمة بن أبى جهل، وشرحبيل بن حسنة، فلم يقاوما بنى حنيفة، لأنهم فى نحو أربعين ألفا من المقاتلة، فعجل عكرمة قبل مجئ

---

[1] انظر خبر سرية خالد إلى بني جذيمة في صحيح البخاري، كتاب المغازي (٥٧/٨ من فتح الباري) وميلغة الكلب: هي الإناء الذي يَلَغَ فيه بلسانه. انظر ابو السعادات ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث (٢٢٦/٥).

صاحبه شرحبيل، فناجزهم فَنُكِب، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عَقْرَباء[١] في طرف اليمامة، والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له اهل اليمامة، وجعل على مجنبتي جيشة المحكم بن الطفيل، والرَّجّال[٢] بن عنفوة بن نهشل، وكان الرّجَال هذا صديقه الذى شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب فى الأمر، وكان هذا الملعون بشهادته الكاذبة من أكبر من أضل أهل اليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة لعنهما الله، وقد كان الرجال هذا قد وفد إلى النبي ﷺ وقرأ سورة البقرة، وجاء زمن الردة إلى أبى بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة.

قال سيف بن عمر عن طليحة عن عكرمة عن أبى هريرة: كنت يوما عند النبي ﷺ فى رهط معنا الرَّجال بن عنفوة، فقال: إن فيكم لرجلا ضرسه فى النار أعظم من أحد، فهلك القوم وبقيت أنا والرَّجال وكنت متخوفاً لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة. رواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبى هريرة[٣] ولما قرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيداً وابا حذيفة، وقد مرت المقدمة فى الليل بنحو من أربعين، وقيل ستين فارساً، عليهم مَجّاعة بن مُرَارة، وكان قد

---

[١] عقرباء: منزل من أرض اليمامة على طرفها وهو من أعمال العارض (ياقوت: مصدر سابق ١٣٥/٤).

[٢] ضبطه ابن الأثير بالجيم المعجمة، وبالحاء المهملة، قال: والأول أشهر.

[٣] رواية ابن إسحاق في حكم المرسل لجهالة الواسطة بينه وبين أبي هريرة، والرواية الأولى ضعيفة بسيف ابن عمر التميمي، وشيخه.

ذهب لأخذ ثأر له فى بنى تميم وبنى عامر وهو راجع إلى قومه فأخذوهم فلما جئ بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدقهم، وأمر بضرب أعناقهم كلهم، سوى مَجّاعة فإنه استبقاه مقيداً عنده ــ لعلمه بالحرب والمكيدة ــ وكان سيداً فى بنى حنيفة، شريفاً مطاعا، ويقال: إن خالداً لما عُرِضُوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بنى حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبى ومنكم نبى، فقتلهم إلا واحداً إسمه سارية، فقال له: ايها الرجل: إن كنت تريد غداً بعدوك هذا خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل - يعنى مَجّاعة بن مُرَارة - فاستبقاه خالد مقيداً.

فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغَيْرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن احسابكم وامنعوا نساءكم، وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شَمّاس، والعرب على راياتها، ومَجّاعة بن مُرَارة مقيد فى الخيمة، فاصطدم المسلمون والكفار، فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها مَجّاعة وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قُتِل الرَّجّال بن عنفوة لعنه الله فى هذه الجولة، قتله زيد ابن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: اخْلِصْنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحَمِى البراء بن معرور ــ وكان إذا رأى الحرب أخذته العَرَوَاء[1] فيجلس على ظهر الرحال حتى يبول فى سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد وقاتلت بنو حنيفة قتالا لم يعهد مثله، **وجعلت**

[1] العَرَوَاء: هي مَسّ الحمى والرعدة التي تصيب المحموم (ابن منظور، لسان العربي ١٥/٤٥).

الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو القى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيداً ﷺ. وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زيِّنوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى ابعدهم وأصيب ﷺ، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لقتال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: انا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين - وكان شعارهم يومئذ يا محمداه - وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شئ إلا أكله.

وقد ميز خالد المهاجرين، من الأنصار، من الأعراب، وكل بنى أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبرت الصحابة فى هذا الموطن صبرا لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولّى الكفارُ الأدبارَ، واتبعوهم يقتلون فى أقفائهم، ويضعون السيوف فى رقابهم حيث شاءوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم مُحَكَّم اليمامة - وهو مُحَكّم بن الطفيل لعنه الله - بدخولها، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبى بكر، مُحَكّم بن الطفيل فرماه بسهم فى عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة.

وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقونى عليهم فى الحديقة، فاحتملوه فوق الجُحُف[1] ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها، يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة - فرماه بحربته فاصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشَة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير الوضاءة، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا فى الحديقة وفى المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون الفا، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، فالله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة، وأعيان الناس.

ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبى، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقى فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مَجّاعة فقال: إنها ملأى رجالا ومقاتلة، فهلم فصالحنى عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كَلّوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعنى حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجاعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة

[1] الجُحُف: جمع جحفة وهي التروس تُصنع من الجلد.

من رؤوس الناس فظنهم كما قال بجاعة فانتظر الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق، ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبى، وساق الباقين إلى الصديق، وقد تسرّى علي بن أبى طالب بجارية منهم، وهى أم ابنه محمد الذى يقال له: محمد بن الحنفية رضي الله عنه[1].

تاريخ الموقعة:

قال خليفة بن خيّاط، ومحمد بن جرير، وخلق من السلف: كانت وقعة اليمامة فى سنة إحدى عشرة، قال ابن قانع: فى آخرها.

وقال الواقدي وآخرون: كانت فى سنة ثنتى عشرة. والجمع بينها، أن ابتداءها فى سنة إحدى عشرة، والفراغ منها فى سنة ثنتى عشرة.

قدوم وفد بنى حنيفة على الصديق:

لما قدمت وفود بنى حنيفة على الصديق قال لهم: أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة، فقالوا: أو تعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لابد من ذلك، فقالوا: كان يقول: ياضفدع بنت الضفدعين، نقي لكم تنقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك فى الماء، وذنبك فى الطين. وكان يقول: والمبذرات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة وسمنا. ويقول: لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر،

---

[1] انظر خبر المعركة في تاريخ الطبري ٣/٢٨٧ - ٢٩٨ وتاريخ خليفة بن خياط ص ١٠٧ - ١١٥.

ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والناعى فواسوه[١]. وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إل[٢].

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبي ﷺ، وبلغه أن رسول الله ﷺ بصق فى بئر فغزر ماؤه، فبصق فى بئر فغاض ماؤه بالكلية. وفى أخرى فصار ماؤه أجاجا، وتوضأ وسقى بوضوئه نخلا فيبست وهلكت، وأتى بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رءوسهم فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه، ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمي[٣].

رِدّةُ أهل البحرين وعَودِهم الى الاسلام:

كان من خبرهم أن رسول الله ﷺ كان قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى ملكها، المنذر بن ساوَى العَبْدِى، وأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلام والعدل، فلما توفي رسول الله ﷺ، توفى المنذر بعده بقليل، وكان قد حضر عنده فى مرضه عمرو ابن العاص، فقال له: يا عمرو هل كان رسول الله ﷺ يجعل للمريض شيئاً من ماله؟ قال: نعم، الثُّلُث، قال: ماذا اصنع به؟ قال: إن شئت تصدقت به على أقربائك، وإن شئت على المحاويج، وإن شئت جعلته صدقة من بعدك حَبْسا مُحرماً، فقال: إنى أكره

---

[١] عند الطبري ٣/٢٨٤: والباغي فناوئوه.

[٢] يعني من إله.

[٣] تاريخ الطبري ٣/٢٨٤ وما بعدها.

أن أجعله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام[١]، ولكنى أتصدق به، ففعل، ومات فكان عمرو بن العاص يتعجب منه، فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين ومَلّكوا عليهم الغَرُور وهو المنذر بن النعمان بن المنذر. وقال قائلهم: لو كان محمد نبياً ما مات، ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها جُوَاثا، كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك فى البخاري عن ابن عباس[٢]، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، ومنعوا عنهم الأقوات وجاعوا جوعاً شديداً حتى فرج الله عنهم، وقد قال رجل منهم يقال له عبدا لله بن حَذَف، أحد بنى بكر بن كلاب، وقد إشتد عليه الجوع:

ألا أبلغ ابا بكر رسولا وفتيان المدينة أجمعينا

فهل لكم إلى قوم كرام قعودٍ فى جُواثا مُحْصَرِينا

كأن دماءَهم فى كل فَجّ شُعاعُ الشمس يَغْشى الناظرينا

توكلنا على الرحمن إنا وجدنا النصر للمتوكلينا

وقد قام فيهم رجل من أشرافهم، وهو الجارود بن المعَلّي - وكان ممن هاجر إلى رسول الله ﷺ - خطيبا وقد جمعهم فقال: يا معشر عبد القيس، إنى سائلكم عن أمر فأخبرونى إن علمتوه، ولا تجيبونى إن لم تعلموه،

---

[١] أراد قوله وتعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون﴾ [سورة المائدة، آية: ١٠٣] وراجع تفسير الآيات في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١٠٧/٢).

[٢] سبق تخريج الحديث. وجُواثا: بضم أوله ويمد ويقصر، حصن لعبد القيس بالبحرين، وقال ابن الأعرابي: جواثا مدينة الخط، والمشقّر مدينة هجر (ياقوت: مصدر سابق ١٧٤/٢).

فقالوا: سل، قال: أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أم ترونه؟ قالوا: نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فان محمداً ﷺ مات كما ماتوا، وإنى اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: ونحن أيضاً نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنت أفضلنا وسيدنا، وثبتوا على إسلامهم، وتركوا بقية الناس فيما هم فيه، وبعث الصديق رضي الله عنه كما قدمنا إليهم العلاء بن الحضرمي، فلما دنا من البحرين جاء إليه ثُمامة بن أُثَال فى محفل كبير، وجاء كل أمراء تلك النواحي فانضافوا إلى جيش العلاء ابن الحضرمي، فأكرمهم العلاء ورحب بهم وأحسن إليهم.

كرامة للعلاء بن الحضرمي:

وقد كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابي الدعوة، اتفق له فى هذه الغزوة انه نزل منزلاً[1]، فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الأبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شئ سوى ثيابهم - وذلك ليلا - و لم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناسَ من الهم والغم مالا يُحَدّ ولا يُوصَف، وجعل بعضهم يوصى إلى بعض، فنادى منادى العلاء فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس ألستم المسلمين؟ ألستم فى سبيل الله؟ ألستم انصار الله؟ قالوا: بلى، قال فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان فى مثل حالكم، ونودى بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بالناس، فلما قضى الصلاة جثا على

[1] في طبقات ابن سعد ٣٦٣/٤ حَدّد منزلة بالدهناء، وهي صحراء رملية بين نجد والأحساء.

ركبتيه، وحثا الناس، ونصب فى الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى، وهو يجتهد فى الدعاء ويكرره، فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماء القراح، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فَجّ بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سِلْكاً، فسقوا الإبل عَلَلاً بعد نَهَلٍ[1]. فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السَّرِية[2].

هزيمة المرتدين:

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة - وقد حشدوا وجمعوا خلقا عظيماً - نزل ونزلوا، وباتوا متجاورين فى المنازل، فبينما المسلمون فى الليل إذ سمع العلاء أصواتا عالية فى جيش المرتدين، فقال: من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبدالله بن حَذَف فدخل فيهم فوجدهم سُكَارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فوره والجيش معه فكبسوا أولئك فقتلوهم قتلا عظيماً، وقل من هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة، عظيمة جسيمة، وكان الحُطَم بن ضُبَيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائماً، فقام دهشاً حين اقتحم المسلمون عليهم، فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لى ركابى؟ فجاء رجل من المسلمين فى الليل فقال: أنا أصلحها

---

[1] العَلَلُ: الشَرِبة الثانية، والنهل: شرب الإبل أول ما ترد الماء (ابن منظور، لسان العرب ٤٦٧/١١).

[2] ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٦٣/٤ من طريق المدائني باسناده إلى عامر الشعبي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وذكره الطبري في تاريخه ٣٠٦/٣ من طريق سيف بن عمر.

لك، ارفع رجلك، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال له: أجهز عليّ، فقال: لا أفعل، فوقع صريعاً كلما مرّ به أحد يساله أن يقتله فيأبى، حتى مر به قيس بن عاصم فقال له: انا الحُطَم فاقتلنى فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله وقال: واسوأتاه، لو أعلم ما به لم أحركه، ثم ركب المسلمون فى آثار المنهزمين، يقتلونهم بكل مرصد وطريق، وذهب من فَرّ منهم أو أكثرهم فى البحر إلى دَارين[1]، ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء بن الحضرمي فى قسم الغنيمة ونَفّلَ الانفال.

كرامة أخرى:

ولما فرغ من ذلك قال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعاً، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا فى السفن، فرأى أن الشُّقَة بعيدة لا يصلون إليهم فى السفن حتى يذهب أعداء الله فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا ارحم الراحمين، يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، ياحى يا قَيوّم، ياذا الجلال والاكرام لا إله إلا أنت ياربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بأذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى رُكَب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله فى يوم، ولم يترك من العدو مخبراً، واستاق الذرارى والأنعام والأموال، ولم يفقد

[1] دارين: بكسر الراء: هي فرضة بالبحرين (ياقوت، مصدر سابق ٤٣٢/٢).

المسلمون فى البحر شيئا سوى عُلَيقة فرس لرجل من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم، فاصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفين، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين فى مرورهم فى البحر، وهو عَفِيف بن المنذر[١]:

ألم تر أنّ الله ذلّلَ بحـــــرَه وأنزل بالكفار إحدَى الجَلائل

دعونَا الذي شَقّ البِحَار فجَاءنَا بأعجبِ من فَلْقِ البِحَار الأوائلِ

ردة أهل عُمان:

كان أهل عمان قد استجابو لدعوة الإسلام وبعث إليهم رسول الله عمرو بن العاص، ثم بعد وفاته ﷺ نبغ فيهم رجل يقال له: ذو التاج، لَقِيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجُلَنْدَى ملك عمان[٢]، فادعى النبوة، وتابعه الجهلة من أهل عُمان، فتغلب عليها وقهر جيفراً وعبّاداً أبنى الجُلَنْدَى[٣] وألجأهما إلى أطرافها من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه، فبعث إليه الصديق بأميرين، وهما: حذيفة بن مِحْصَن الغلفاني من حمير، وعَرْفجة بن هرثمة البارقي من الازد، حذيفة إلى عُمَان، وعَرْفجة إلى مَهْرة، وأمرهما أن يجتمعا

---

[١] انظر ترجمته في الإصابة ٥/١٣٠، والخبر أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٣١١) وقال ابن حجر في ترجمة العلاء في كتاب الإصابة: (٤/٥٤١) وخاض البحر بكلمات قالهن وذلك مشهور في كتب الفتوح.

[٢] انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ١/٥٣٨.

[٣] انظر ترجمتهما في المصدر نفسه ١/٥٤٢ و٥/١١١ على التوالي.

ويتفقا ويبتدئا بعُمَان، وحذيفة هو الأمير، فإذا ساروا إلى بلاد مَهْرة فعرفجة الأمير، وقد قدمنا أن عكرمة بن أبي جهل لما بعثه الصديق إلى مسيلمة، وأتبعه بشُرَحْبيل بن حَسَنة، عَجِل عكرمة وناهض مسيلمة قبل مجيء شرحبيل ليفوز بالظفر وحده، فناله من مسيلمة قرح والذين معه، فتقهقر، وكتب إليه الصديق يلومه على تسرعه، قال: لا أرينك ولا أسمعن بك الا بعد بلاء، وأمره أن يلحق بحذيفة وعرفجة إلى عُمَان، وكل منكم أمير على جيشه وحذيفة ما دمتم بعمان فهو أمير الناس، فإذا فرغتم فاذهبوا إلى مَهْرة، فأذا فرغتم منها فاذهب الى اليمن وحضرموت فكن مع المهاجر بن أبي أمية. ومن لقيته من المرتدة بين عُمَان إلى حضرموت واليمن فنكِّل به، فسار عكرمة لما آمره به الصديق، فلحق حذيفة وعرفجة، قبل أن يصلا إلى عُمَان، وقد كتب إليهما الصديق أن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السير من عُمَان أو المقام بها، فساروا فلما اقتربوا من عُمَان راسلوا جيفرا، وبلغ لَقِيط بن مالك مجيء الجيش، فخرج في جموعه فعسكر بمكان يقال له: دَبَا، وهي مصر تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل الذراري والأموال وراء ظهورهم، ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له صُحَار، فعسكرا به وبعثا الى أمراء الصديق فقدموا على المسلمين، فتقابل الجيشان هنالك، وتقاتلوا قتالا شديدا، وابتلى المسلمون وكادوا أن يولوا، فَمَنّ الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مددا في الساعة الراهنة من بني ناجية وعبد القيس، في جماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة

آلاف مقاتل، وسبوا الذراري، وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها، وبعثوا بالخمس إلى الصديق رضي الله عنه مع أحد الأمراء، وهو عرفجة[١].

بلاد مَهْرة:

لما فرغوا من عُمَان كما ذكرنا، سار عكرمة بالناس إلى بلاد مَهْرة، بمن معه من الجيوش ومن أضيف إليها، حتى اقتحم على مَهْرة بلادها، فوجدهم جُنْدَين على أحدهما - وهم الأكثر - أمير يقال له: المصبَّح، أحد بني محارب، وعلى الجند الآخر أمير يقال له: شِخْريت، وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين، فراسل عكرمة شخريتاً فأجابه وانضاف إلى عكرمة فقوي بذلك المسلمون، وضعف جأش المصبَّح، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة، فاغتر بكثرة من معه ومخالفة لشخريت، فتمادى على طغيانه فسار إليه عكرمة بمن معه من الجنود فاقتتلوا مع المصبَّح أشد من قتال دَبَا المتقدم، ثم فتح الله بالظفر والنصر، ففر المشركون وقُتِلَ المصبَّح، وقتل خلق كثير من قومه، وغنم المسلمون أموالهم، فكان في جملة ما غنموا ألفا نجيبة، فخمّس عكرمة ذلك كله وبعث بخمسه إلى الصديق مع شِخْريت، وأخبره بما فتح الله عليه، والبشارة مع رجل يقال له: السائب من بني عابد من مخزوم[٢].

---

[١] قارن بتاريخ الطبري ٣/٣١٤ وما بعدها.

[٢] قارن بالمصدر السابق ٣/٣١٦ وما بعدها.

ملخص حروب الردة:

ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها رِدّة لبعض الناس، فبعث الصديق إليهم جيوشاً وأمراء يكونون عوناً لمن في تلك الناحية من المؤمنين فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطن من تلك المواطن إلا غلب جيش الصديق مَنْ هُنَاك من المرتدين - و لله الحمد والمنة - وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا مغانم كثيرة، فيتقوون بذلك على من هنالك، ويبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصديق فينفقه في الناس فيحصل لهم قوة ويستعدون به على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم، على ما سيأتي تفصيله. و لم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلا أهل طاعة لله ورسوله، وأهل الذمة من الصديق، كأهل نجران وما جرى مجراهم - و لله الحمد - وعامة ما وقع من هذه الحروب كان في أواخر سنة إحدى عشرة وأوائل سنة ثنتي عشرة.

فقد استهلت السنة الثانية عشرة وجيوش الصديق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة، جَوَّالون في البلاد يمينا وشمالا، لتمهيد قواعد الاسلام وقتال الطغاة من الانام، حتى رَدّ شارد الدين بعد ذهابه، ورجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى.

الفصل الرابع

الفتوحات في بلاد العراق

(المرحلة الأولى):

تمثل جهود الصديق رضي الله عنه في فتوحات بلاد العراق المرحلة الأولى من خطة الفتوحات في بلاد المشرق في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وتولى قيادة هذه المرحلة خالد بن الوليد، وهذا تفصيلها.

بعث خالد الى العراق:

لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث إليه الصديق أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وهي الأُبُلّه[١]، ويأتي العراق من أسفلها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل، فان أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فان امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يُكْرِه أحداً على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الأسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب[٢] كل امرئ مَرّ به من المسلمين. وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه.

قال الواقدي اختلف في خالد، فقائل يقول: مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق، وقائل يقول: رجع من اليمامة إلى المدينة ثم سار إلى

---

[١] الأُبُلّة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام، بلدة على شط العرب في زاوية الخليج الذي يدخل في مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة وكانت بها مسالح لكسرى (ياقوت، مصدر سابق ١/٧٧).

[٢] أي يطلب صحبته دون الزام.

العراق من المدينة فمر على طريق الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة[١]. قال ابن كثير: والمشهور الأول.

تاريخ بعث خالد إلى العراق:

ذكر المدائني بإسناده أن خالداً توجه إلى العراق في المحرم سنة اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة، وفيها قُطْبَة بن قتادة السدوسي، وعلى الكوفة[٢] المثنى بن حارثة الشيباني.

وقال محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان؛ إن أبابكر كتب الى خالد أن يسير الى العراق، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها، بانِقْيا، وبارُوسْما، وصاحبها جابان، فصالحه أهلها، وكان الصلح على ألف درهم وقيل دينار، وكان ذلك في شهر رجب، وكان الذي صالحه بُصْبُهْرىَ بن صَلُوبا، فقبل منهم خالد وكتب لهم كتاباً.

فتح الأُبُلّه (فرج الهند) وتسمى المعركة ذات السلاسل:

كانت الأُبُلّة تسمى فرج أهل السند والهند، وهي أعظم فروج فارس بأساً وأشدها شوكة، وكان صاحبها يحارب العرب في البر ويحارب الهند في البحر، وهو هُرْمُز، فكتب إليه خالد، فبعث هرمز بكتاب خالد إلى شِيرَى ابن كِسْرَى، وأردشير بن شِيرَى، وجمع هُرْمز، وهو نائب كسرى جموعا كثيرة وسار بهم إلى كاظِمَة[٣]، وعلى مجنبتيه قُبَاذ، وأنو شَجَان ـ وهما

---

[١] انظر تاريخ الطبري ٣/٣٤٣.

[٢] لم تكن البصرة ولا الكوفة قد بنيتا وانما يقصد مكانهما.

[٣] كاظمة: بلدة تقع على سِيف البحر في الطريق بين البصرة والبحرين، بينها وبين البصرة مرحلتان (ياقوت، مصدر سابق ٤/٤٣١).

من بيت الملك - وقد تقرن الجيش فى السلاسل لئلا يفروا، وكان هرمز هذا من أخبث الناس طوية وأشدهم كفرا، وكان شريفاً فى الفرس، وكان الرجل كلما ازداد شرفا زاد فى حِلْيته، فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف، وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفا فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء فقوي المسلمون بذلك، وفرحوا فرحا شديداً، فلما تواجه الصفان وتقاتل الفريقان، ترجّل هرمز ودعا إلى النزال، فترجّل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغلته عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل واستحوذ المسلمون وخالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وِقْرَ ألف بعير، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سُلْسِلَ بها من فرسان فارس، وأفلت قُبَاذ وأنو شَجَان، ولما رجع الطلب نادى منادى خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وبعث بالفتح والبشارة والخمس، مع زِرّ بن كليب، إلى الصديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعل ضعيفات النساء يقلن: أمن خلق الله هذا أم شئ مصنوع؟ فرده الصديق مع زِرّ، وبعث أبو بكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فَنَفّلَه سلب هُرْمُز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصَّعة بالجواهر، وبعث خالد الامراء يمينا وشمالا يحاصرون حصونا هنالك ففتحوها عنوة وصلحا، وأخذوا منها

أموالا جمة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين - من لم يقاتل منهم - ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس[١].

وقْعَةُ المَذَار (الثَّنِي):

ثم كانت وقعة المذار[٢] فى صفر من السنة الثانية عشرة. ويقال لها: وقعة الثِّنِي، وهو النهر، قال ابن جرير: ويومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار[٣]. وكان سببها أن هرمزاً كان قد كتب إلى أردشير وشِيرَى، بقدوم خالد نحوه من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له: قارن ابن قِرْيانِس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفرار الفرس، فتلقاهم قارن، فالتفّوا عليه فتذامروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى مجنبتى قارِن: قُبَاذ وأنو شَجَان، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على تعبئة، فاقتتلوا قتال حَنَقٍ وحفيظة، وخرج قارِن يدعو إلى البِرَاز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الامراء، فقتل مَعْقِل بن الأعشى

---

[١] علق الطبري في تاريخه (٣/ ٣٥٠) بعد ذكر هذا السياق بقوله: وهذه القصة فى أمر الأبلّة وفتحها خلاف مايعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الأثار الصحاح وإنما كان فتح الأبلة أيام عمر وعلى يد عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة من الهجرة. قلت: والجمع بين القولين أن هذا الفتح لم يكن مستقراً فقد انتقضت بعض البلدان عندما خرج خالد إلى الشام، ثم أُعيد الفتح مرة أخرى في عهد عمر رضي الله عنه.

[٢] المذار: بالفتح، وآخره راء، تقع بين واسط والبصرة، وهي قصبة مَيْسان (ياقوت، مصدر سابق ٥/٨٨).

[٣] تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٥١.

ابن النَّبَّاش قارناً وقتل عدي بن حاتم قُبَاذاً، وقتل عاصم أنوشَجَان، وفرت الفرس وركبهم المسلمون فى ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفا وغرق كثير منهم فى الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وكان قارن قد انتهى شرفه فى أبناء فارس. وجمع بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصديق، مع سعيد بن النعمان، أخي بني عدي بن كعب وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذرارى من حَصَرَهُ من المقاتلة، دون الفلاحين فإنه أقرهم بالجزية، وكان فى هذا السبي حبيب أبوالحسن البصري وكان نصرانياً، ومافَنَّه مولى عثمان، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة، ثم أمَّرَ على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مُقرّن، وأمره أن ينزل الحفير ليجبى إليه الأموال وأقام خالد يتجسس الأخبار عن الأعداء[1].

معركة الوَلَجه:

كان أمر الوَلَجة[2] فى صفر أيضاً من السنة الثانية عشرة، فيما ذكره ابن جرير وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار من قبل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذ، بعث أميراً شجاعاً يقال له الأنْدَرْ زَغَر، وكان من أبناء السواد ولد بالمدائن ونشأ بها، وأمده بجيش آخر مع أمير يقال له بَهْمَن جاذَويه، فساروا حتى بلغوا مكاناً يقال له: الولَجة، فسمع بهم خالد فسار بمن معه من الجنود ووصّى من استخلفه

---

[1] قارن بالمصدر السابق ٣/٣٥١ - ٣٥٢.

[2] الوَلَجةُ: بأرض كَسْكر، موضع مما يلي البر، واقعَ فيه خالدُ جيشَ الفرس فهزمهم. (ياقوت، مصدر سابق ٥/٣٨٣).

هناك بالحذر وقلة الغفلة، فنازل أندَرْ زَغَر ومن تأشب معه، واجتمع عنده بالوجة، فاقتتلوا قتالا شديداً هو أشد مما قبله، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، واستبطأ كمينه الذى كان قد أرصدهم وراءه فى موضعين، فما كان إلا يسيراً حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا، ففرت صفوف الأعاجم فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندرْ زَغَر من الواقعة فمات عطشاً، **وقام خالد فى الناس خطيباً، فرغبهم فى بلاد الأعاجم وزهدهم فى بلاد العرب وقال: ألا ترون ما هاهنا من الأطعمات؟ وبا لله لولم يلزمنا الجهاد فى سبيل ا لله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأى أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونوليّ الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه.** ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذرارى المقاتلة، وأقر الفلاحين بالجزية[١].

وقعة أُلّيْس:

كانت وقعة أُلّيْس فى صفر سنة اثنتى عشرة، وذلك أن خالداً كان قد قَتَل يوم الوجة طائفة من بكر بن وائل من نصارى العرب ممن كان مع الفرس، فاجتمع عشائرهم وأشدهم حنقا عبد الأسود العِجْلِي، وكان قد قُتِلَ له ابن بالأمس، فكاتبوا الأعاجم فأرسل إليهم اردشير جيشاً فاجتمعوا بمكان يقال له: أُلّيْس[٢]، فبينما هم قد نصبوا لهم سِمَاطاً فيه طعام يريدون

---

[١] المصدر السابق ٣/٣٥٣ - ٣٥٤.

[٢] أُلّيْس: مصغر بوزن فُلّيس، قرية من قرى الأنبار وهى في أول أرض العراق من ناحية البادية (ياقوت، مصدر سابق ١/٢٤٨) وقال الطبري في تاريخه (٣/٣٥٥) تقع على صلب الفرات.

أكله، إذ فاجأهم خالد بجيشه، فلما رأوه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد، وقال أمير كسرى: بل ننهض إليه، فلم يسمعوا منه. فلما نزل خالد تقدم بين يدى جيشه ونادى بأعلى صوته لشجعان مَنْ هنالك من الأعراب: أين فلان، أين فلان؟ فكلهم تلكأوا عنه إلا رجلاً يقال له مالك ابن قيس، من بنى جذرة، فإنه برز إليه، فقال له خالد: يا ابن الخبيثة ما جَرُّاك عليّ من بينهم وليس فيك وفاء؟[1] فضربه فقتله. ونفرت الأعاجم عن الطعام وقاموا إلى السلاح فاقتتلوا قتالا شديداً جداً، والمشركون يرقبون قدوم بَهْمَن جاذَويه مدداً من جهة الملك إليهم، فهم فى قوة وشدة وكَلَبٍ فى القتال، وصبر المسلمون صبراً بليغاً، وقال خالد: اللهم لك عليّ إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقى منهم أحداً أقدر عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم. ثم إن الله عز وجل منح المسلمين أكتافهم فنادى منادى خالد: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً يساقون سوقاً، وقد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم فى النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، ويطلبهم فى الغد ومن بعد الغد، وكلما حضر منهم أحد ضربت عنقه فى النهر، وقد صرف ماء النهر الى موضع آخر فقال له بعض الأمراء: إن النهر لا يجرى بدمائهم حتى ترسل الماء على الدم فيجرى معه فَتبرّ بيمينك، فأرسله فسال عبيطاً، فلذلك سمى نهر الدم إلى اليوم.

---

[1] أي غناء وكفاية.

وبلغ عدد القتلى سبعين الفاً، ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجع من الناس، عدل خالد إلى الطعام الذى كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين: هذا نَفَل فانزلوا فكلوا، فنزل الناس فأكلوه عَشَاءً.

وقد جعل الأعاجم على طعامهم مُرَقَّقا كثيراً فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون: ماهذه الرقع؟ يحسبونها ثياباً، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن: أما سمعتم رقيق العيش؟ قالوا: بلى، قالوا: فهذا رقيق العيش، فسموه يومئذ رِقَاقاً، وإنما كانت العرب تسميه القِرَى. وقد روى سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشعبى، عمن حدث عن خالد، أن رسول الله ﷺ نَفّل الناس يوم خيبر الخبز والطبيخ والشواء وما أكلوا غير ذلك، غير متأثليه[1]. وكان كل من قُتِلَ بهذه الوقعة يوم أُلّيس من بلدة يقال لها أَمْغِيشِيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنما عظيماً فقسم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النَّفَل ألفاً وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله.

وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبى مع رجل يقال له جندل من بنى عِجْل، وكان دليلاً صارماً، فلما بلّغ الصديق الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية من السبي،

---

[1] انظر تاريخ الطبري (٣/٣٥٧) وقد جاءت العبارة عند ابن كثير: الخبز والبطيخ والشواء. وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر أنه قال: كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولا نرفعه (٦/٢٥٥ من الفتح) باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب.

وقال الصديق: يا معشر قريش إن أسدكم قد عدا على الأسد فغلبه على خراذيله[١]، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد[٢].

صُلْح الحِيْرة:

بعد انتصار خالد في معركة أُلّيس، أقبل حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قَبِيصة بن إياس بن حيَّة الطائي، وكان أمَّرَهُ عليها كِسْرى، بعد النعمان بن المنذر، فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الاسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، وجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قَبِيصة: ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية. فقال له خالد: **تباً لكم، إن الكفر فَلاَةٌ مَضلّة، فأحق العرب من سلكها**. فلقيه رجلان أحدهما عربي فتركه، واستدل بالعجمي، ثم صالحهم على تسعين ألفا، وفي رواية مائتي ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من العراق وحملت إلى المدينة هي والقُرَيّات قبلها التي صالح عليها ابن صَلُوبا.

وقد كتب لهم كتابا بالصلح، وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة، ولم يكن صالحهم حتى سَلّموا، كرامة بنت عبدالمسيح، إلى رجل من الصحابة يقال له شُوَيل، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كأن شُرَفَ قصورها أنياب الكِلاَب فقال له: يارسول الله هب لي ابنة بُقَيلة، فقال: هي لك، فلما فتحت ادعاها شويل، وشهد له اثنان من

---

[١] الخراذيل بالذال المعجمة والمهملة اللحم المقطع (اللسان ٢٠٣/١١).

[٢] قارن بتاريخ الطبري، (٣٥٧/٣) وما بعدها.

الصحابة، فامتنعوا من تسليمها إليه وقالوا: ما تريد من امرأة ابنة ثمانين سنة؟ فقالت: لقومها: ادفعوني إليه فإني سأفتدي منه، وإنه قد رآني وأنا شابّة، فسُلّمت إليه فلما خلا بها قالت: ما تريد إلى امرأة بنت ثمانين سنة؟ وأنا أفتدي منك، فاحكم بما أردت، فقال: والله لا أفديك بأقل من عشر مائة، فاستكثرتها خديعة منها، ثم أتت قومها فأحضروا له ألف درهم، ولامَهُ الناسُ، وقالوا: لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك، فقال: وهل عدد أكثر من عشر مائة؟[1] وذهب إلى خالد وقال: إنما أردت أكثر العدد، فقال خالد: أردت أمراً وأراد الله غيره، وإنا نحكم بظاهر قولك، ونيتك عند الله.

وقد أقام خالد هنالك بعد صلح الحيرة سنة يتردد في بلاد فارس ها هنا، وها هنا، ويوقع بأهلها من البأس الشديد، والسطوة الباهرة ما يبهر الأبصار لمن شاهد ذلك ويشنف أسماع من بلغه ذلك ويحير العقول لمن تدبره.

وقال سيف بن عمر عن طلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عُتيبة[2] - وكان قاضي الكوفة - قال: فَرّق خالد مخرجة من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فسرّح المثنى قبله بيومين ودليله

---

[1] ذكر الحديث والقصة البيهقي في دلائل النبوة ٣٢٦/٦، وهي في تاريخ الطبري (٣٦٦/٣). وفي فتوح البلدن للبلاذري ص(٢٩٨) أن الذي سأل النبي ﷺ بنت بقيلة هو خُرَيم بن أوس الطائي. قال: وهذا أثبت.

[2] في الأصل عيينة والتصحيح من تاريخ الطبري (٣٤٨/٣)، وفي أخبار القضاة لوكيع ٢٣/٣ المغيرة بن عيينة النهاس، ولعله تصحيف.وانظر ابن حجر تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (٩٢٩/٣).

ظفر، وسرّح عدي بن حاتم، وعاصم بن عمرو، ودليلاهما مالك بن عباد، وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد - يعني في آخرهم - ودليله رافع، فواعدهم جميعا الحفير ليجتمعوا به، ويصادموا عدوهم. ثم سار خالد فنزل الخورنق، والسدير[1]، بالنجف، وبث سراياه ها هنا، وها هنا، يحاصرون الحصون من الحيرة ويستنزلون أهلها قسراً وقهراً، وصلحاً ويسراً، وكان في جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم ابن بقيلة المتقدم ذكره، وكتب لأهل الحيرة كتاب أمان، فكان الذي راوده عليه عمرو بن عبدالمسيح بن بقيلة، ووجد خالد معه كِيْساً، فقال: ما في هذا؟ - وفتحه خالد فوجد فيه شيئا -، فقال ابن بقيلة: هو سم ساعة، فقال: و لم استصحبته معك؟ فقال حتى إذا رأيتُ مكروها في قومي أكلْتُه، فالموت أحب إلي من ذلك، فأخذه خالد في يده وقال: إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه، فبادرهم فابتلعه[2]، فلما رأى ذلك ابن بقيلة قال: وا لله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أوضح إقبالا من هذا.

---

[1] الخورنق، والسدير، من قصور الحيرة المشهوره.

[2] القصة أخرجها ابن سعد في الطبقات في ترجمة خالد ٦/٩٢/أ أخبرنا عبدالله بن الزبير الحميدي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت خالد بن الوليد أتى بسم فقال ما هذا؟ قالوا: سم. فقال: بسم الله وشربه. وقال ابن حجر في الإصابة (٢/٢٥٤) أخرجه ابن سعد من وجهين، ورواه أبو يعلي. قلت: وهذا الإسناد صحيح.

محاورة بين خالد وعمرو بن عبدالمسيح:

لقد كان مع نائب كسرى على الحيرة ممن وفد إلى خالد، عمرو بن عبد المسيح ابن حَيّان بن بُقَيلة، وكان من نصارى العرب.

فقال له خالد: من أين أثرك؟

قال: من ظهر أبي.

قال: ومن أين خرجت؟

قال: من بطن أمي.

قال: ويحك على أي شئ أنت؟

قال: على الارض.

قال: ويحك وفي أي شئ أنت؟

قال: في ثيابي.

قال: ويحك، أتعقل؟

قال: نعم وأقيد.

قال: إنما أسألك.

قال: وأنا أجيبك.

قال: أَسِلْم أنت أم حرب؟

قال: بل سِلْم.

قال: فما هذه الحصون التي أرى؟

قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجئ الحليم فينهاه [١].

كتاب خالد الى مرازبة أهل فارس:

ثم بعث خالد بن الوليد كتابا إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه، قال هشام بن الكلبي، عن أبي مخنف، عن مجالد، عن الشعبي قال: أقرأني بنو بُقَيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن، من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس، سلام على من اتبع الهدى، **أما بعد:** فالحمد لله الذي فض خَدَمكم وسلب ملككم ووهَّن كيدكم، وأن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلكم المسلم، الذي له ما لنا، وعليه ما علينا، فاذا جاءكم كتابي فابعثوا إلي بالرُّهن، واعتقدوا مني الذمة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوما يحبون الموت كما تحبون الحياة. فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون[٢].

فتح خالد للأنبار:

ركب خالد جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار[٣]، وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له شيرزاذ، فأحاط بها خالد وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معه أهل أرضهم، فمانعوا

---

[١] ذكر المحاورة الطبرى في تاريخه، ٣/٣٤٥، وانظر فتوح البلدان للبلاذرى (ص٢٩٧).

[٢] هشام الكلبي، وأبي مخنف، من المتروكين عند علماء الحديث ولكن يؤخذ من أخبارهما التاريخية ما ليس فيه نكارة أو مخالفة للثقات.

[٣] مدينة على نهر الفرات غربي بغداد، كانت تجمع بها أنابير الحنطة والشعير فسميت الأنبار (ياقوت مصدر سابق ١/٢٥٧).

خالداً أن يصل إلى الخندق، فضرب معهم رأسا، ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين، فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه الغزوة ذات العيون، فراسل شيرزاذ خالدا في الصلح، فاشترط خالد أموراً تمنع شيرزاذ من قبولها، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا[١] الاموال من الابل فذبحها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنهِ فَوَفَى له خالد بذلك، وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلمها خالد فنزلها واطمأن بها، وتعلم الصحابة ممن كان بها من العرب الكتابة العربية[٢]، وكان أولئك العرب قد تعلموها من قبلهم وهم بنو إياد، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالدا قول بعض إياد يمتدح قومه:

قومي إياد لو أنهم أَمَمُ ... أو لو أقاموا فتُهْزلَ النَّعَمُ

قوم لهم باحةُ العراق إذا ... ساروا جميعا واللوح والقلمُ

ثم صالح خالد أهل البوازيج[٣] وكَلْوَاذى[٤]، قال: ثم نقض أهل الانبار ومن حولهم عهدهم لما اضطربت بعض الاحوال، و لم يبق على عهده

---

[١] الرذايا: الإبل المهزولة من السير.

[٢] عن الخط العربي وأول من كتب به، انظر، البلاذرى، فتوح البلدان (ص٥٧٩) وابن النديم، الفهرست (ص٧-٩).

[٣] بوازيج الأنبار هي غير البوازيج التي قرب تكريت، ويقال لها: بوازيج الملك، وقد فتح بوازيج الأنبار جرير بن عبد الله البجلى، وكان له فيها موالي (ياقوت مصدر سابق ٥٠٣/١).

[٤] كَلْواذى: بالفتح ثم السكون والذال المعجمة، من أرض السواد بين الكوفة وواسط (ياقوت، مصدر سابق ٤٧٧/٤).

سوى البوازيج وبانقيا. قال سيف عن عبدالعزيز بن سِياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: ليس لأحد من أهل السواد عهد قبل الوقعة، الا بنو صلوبا وهم أهل الحيرة وكَلْواذى وقرى من قرى الفرات، غدروا حتى دُعُوا إلى الذمة بعد ما غدروا.

وقال سيف عن محمد بن قيس: قلت للشعبي: أُخِذَ السواد عُنوة وكل أرض الا بعض القلاع والحصون؟ قال: بعض صالح وبعض غالب. قلت: فهل لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الحرب؟ قال: لا، ولكنهم لما دُعوا ورضوا بالخراج وأُخِذ منهم صاروا ذِمّة[1].

وقعة عين التَّمْر:

لما استقل خالد بالأنبار، استناب عليها الزبرقان بن بدر، وقصد عين التمر[2]، وبها يومئذ مِهْران بن بهرام جُوبين، فى جمع عظيم من العرب، وحولهم من الأعراب طوائف من النّمِر، وتغلب، وإياد، ومَنْ لافَّهم[3]، وعليهم عَقّة بن أبى عقة، فلما دنا خالد، قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم، وإن غُلِبوا قاتلنا خالداً وقد ضعفوا ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأى عليهم، وسار خالد، وتلقاه عَقّة، فلما تواجهوا قال خالد لمجنبتيه: احفظوا مكانكم فإنى حامل، وأمر حماته أن يكونوا من ورائه،

---

[1] انظر تاريخ الطبرى (٣/٣٧٥).

[2] عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، والتمر بها كثير جداً (ياقوت، مصدر سابق، ٤/١٧٦).

[3] أي تحالف معهم، وفي الأصل: لاقاهم، والتصحيح من تاريخ الطبري ٣/٣٧٦.

وحمل على عَقة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره، وانهزم جيش عَقّة من غير قتال، فأكثروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مِهران هزيمة عَقّة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فُلاّل نصارى الأعراب إلى الحصن، فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد، وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد، فنزلوا على حكمه، فجُعِلوا في السلاسل وتسلم الحصن، ثم أمر فضربت عنق عَقّة، ومن كان أُسِرَ معه، والذين نزلوا على حكمه أيضاً أجمعين، وغنم جميع ما في ذلك الحصن، ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلاماً يتعلمون الأنجيل وعليهم باب مغلق، فكسره خالد، وفرقهم في الأمراء وأهل الغَنَاء، وكان منهم حُمْران صار إلى عثمان بن عفان من الخمس، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين، أخذه أنس بن مالك. وجماعة آخرون من الموالى المشاهير أراد الله بهم خيراً[1].

خبر دُومة الجندل[2]:

كان أبوبكر لما بعث خالد بن الوليد الى العراق، أمره أن يبدأه من أسفله، وأمر عياض بن غَنْم أن يبدأ العراق من أعلاه، ويلتقيا عند الحيرة وأيهما سبق إليها يكون أميراً على صاحبه، غير أن عياضاً لَمّا مَرّ بدومة الجندل حاصرها، و لم يستطع اجتيازها، فلما جاء الوليد بن عقبة الى أبي

---

[1] انظر تاريخ الطبرى ٣/٣٧٦ - ٣٧٧، من طريق سيف بن عمر.

[2] دُومة الجندل: بضم الدال وفتحها، والضم أفصح، سميت باسم رجل من ولد اسماعيل، بنى حصناً هناك وسقفه بالجندل، ولاتزال تعرف باسمها القديم وهي تقع في شمال المملكة في منطقة الجوف (انظر ياقوت، مصدر سابق(٢/٤٨٧).

بكر وافداً من عند خالد رَدّة الصديق إلى عياض بن غَنْم مدداً له، وهو محاصر دومة الجندل، فلما قدم عليه وجده فى ناحية يحاصر قوماً، وهم قد أخذوا عليه الطرق، فهو محصور أيضاً، فقال عياض للوليد: إن بعض الرأى خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده، فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر، وهو يستغيث به، فكتب إليه: من خالد إلى عياض، إياك أريد.

لَبّثْ قليلاً تأتِكَ الحلائِبُ

يَحْمِلْنَ آساداً عليها القاشِبُ

كتائبُ تَتْبعُها كتائِبُ

واستخلف على عين التمر عويمر بن الكاهن الأسلمي، فلما سمع أهل دُومة الجندل بمسيره إليهم، بعثوا إلى أحزابهم من بَهْراء، وتَنُوخ، وكَلْب، وغَسّان، والضجاعم، فاقبلوا إليهم وعلى غسان، وتنوخ ابن الأيهم، وعلى الضجاعم ابن الحدرجان، وجماع الناس بدومة إلى رجلين: أكيدر بن عبد الملك، والجودى بن ربيعة، فاختلفا فقال اكيدر: أنا أعلم الناس بخالد؛ لا أحد أيمنُ طائراً منه ولا أحَدّ في حرب، ولا يَرَى وجه خالد قوم أبداً، قَلّوا أم كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعونى وصالحوا القوم، فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد، وفارقهم، فبعث إليه خالد، عاصم بن عمرو، فعارضه فأخذه، فلما أتى به خالد، أمر فضربت عنقه، وأخذ ما كان معه.

ثم تواجه خالد وأهل دُومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة، وكل قبيلة مع أميرها من الأعراب، وجعل خالد دومة بينه وبين جيش عياض بن غنم، وافترق جيش الأعراب فرقتين، فرقة نحو خالد، وفرقة نحو عياض، وحمل خالد على من قبله، وحمل عياض على أولئك، فأسر خالد، الجودى، وأسر الأقرع بن حابس، وديعة، وفَرّت الأعراب إلى الحصن فملأوه، وبقى منهم خلق ضاق عنهم، فعطفت بنو تميم على من هو خارج الحصن، فأعطوهم ميرة فنجا بعضهم، وجاء خالد، فضرب أعناق من وجده خارج الحصن، وأمر بضرب عنق الجودى ومن كان معه من الأسارى، إلا أسارى بنى كَلْب، فإن عاصم بن عمرو، والأقرع بن حابس، وبنى تميم أجاروهم، فقال لهم خالد: مالى وما لكم، أتحفظون أمر الجاهلية، وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم بن عمرو: اتحسدونهم العافية وتحوّزونهم الشيطان؟ ثم أطاف خالد بالباب فلم يَزُل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة، وسبوا الذرارى، فبايعوهم بينهم فيمن يزيد، واشترى خالد يومئذ ابنة الجودى، وكانت موصوفة بالجمال، وأقام بدومة الجندل ورد الأقرع إلى الانبار، ثم رجع خالد إلى الحيرة، فتلقاه أهلها من أهل الأرض بالتقليس[1]، فسمع رجلاً منهم يقول لصاحبه: مُرّ بنا، فهذا يوم فرح الشّر.

[1] التقليس: استقبال الولاة باصناف اللهو. (اللسان ٦/١٨٠) وهو من عادات أهل تلك البلاد.

خبر وقعتى الحُصَيد والمصَيَّخُ:

روى سيف، عن محمد، وطلحة، والمهلب، قالوا: وكان خالد أقام بدومة الجندل فظن الأعاجم به، وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبرقان، وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحِيرة، فبعث القعقاع أعْبَدَ بن فَدكِيّ السَّعدى وأمره بالحُصَيد[1] وبعث عُروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس[2]، ورجع خالد من دُومة إلى الحِيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبى بكر الصديق، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه، فبعث القعقاعَ بن عمرو أميراً على الناس، فالتقوا بمكان يقال له الحُصَيد، وعلى العجم رجل منهم يقال له رُوز بَه، وأمده أمير آخر يقال له رُوزَمِهْر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهُزِمَ المشركون فَقَتَلَ منهم المسلمون خلقاً كثيراً، وقتل القعقاع بيده، روزَمِهْر، وقتل رجل يقال له عصمة بن عبدا لله الضّبى، روزبه. وغنم المسلمون شيئاً كثيراً، وهرب من هرب من العجم، فلجأوا إلى مكان يقال له خنافس، فسار إليهم أبو ليلى بن فَدَكِيّ السّعدى، فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المُصَيَّخ[3]، فلما استقروا بها بمن معهم من الأعاجم والأعارب، قصدهم خالد بن الوليد بمن

---

(١) الحصيد - مصغراً - واد بين الكوفة والشام (ياقوت، مصدر سابق ٢٦٦/٢).

(٢) الخنافس: أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار، تقام فيه سوق. (المصدر نفسه ٣٩٠/٢).

(٣) المصيخ: بضم الميم وفتح الصاد المهملة، وياء مشددة، وخاء معجمة - يقال له مصيخ بني البرشاء، بين حوران والقلْت (المصدر نفسه ١٤٤/٤).

معه من الجنود، وقسم الجيش ثلاث فرق، وأغار عليهم ليلا وهم نائمون فأنامهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شُبهُوا إلا بغنم مُصَرّعة[١].

وقعة الثّنِي والزُّمَيْل:

ثم كانت وقعة الثنى[٢] والزُّمَيل[٣]، وقد بيتوهم، فقتلوا من كان هنالك من الأعراب، والأعاجم، فلم يفلت منهم أحد ولا أنبعث بخبر، ثم بعث خالد بالخمس من الأموال والسبى إلى الصديق، وقد اشترى على بن أبى طالب من هذا السبى جارية من العرب وهى ابنة ربيعة بن بُجَير التغلبي، فاستولدها عمر، ورقية، رضي الله عنهم أجمعين[٤].

وقْعَةُ الفِرَاضِ:

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى الفِرَاض[٥] وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة، فاقام هنالك شهر رمضان مفطراً لشغله بالأعداء، ولما بلغ الروم أمر خالد ومصيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعاً كثيرة، واستمدوا تغلب، وإياد، والنَّمِر، ثم ناهدوا خالداً فحالت الفرات بينهم، فقالت الروم لخالد: اعبر إلينا، وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم،

---

[١] انظر الخبر بتفصيل أكثر عند الطبري (٣/٣٨٠ - ٣٨٢).

[٢] الثنيّ: بالفتح ثم الكسر، وياء مشددة: علم لموضع بالجزيرة، تجمعت فيه بنو تغلب وبنو بجير لحرب خالد فأوقع بهم سنة ١٢هـ. (المصدر نفسه ٢/٨٦).

[٣] الزميل: تصغير زمل، موضع بالجزيرة عند البشر شرقي الرصافة أوقع فيه خالد ببني تغلب وغيرهم سنة ١٢هـ. (المصدر نفسه ٣/١٥١).

[٤] قارن بتاريخ الطبري ٣/٣٨٢.

[٥] الفراض: بكسر أوله، وآخره ضاد معجمة، جمع الفرضة وهي المشرعة، وهو موضع في تخوم الشام والعراق والجزيرة شرقي الفرات (المصدر نفسه ٤/٢٤٣)

فعبرت الروم إليهم، وذلك للنصف من ذى القعدة سنة ثنتى عشرة، فاقتتلوا هنالك قتالا عظيماً بليغاً، ثم هزم الله جموع الروم وتمكن المسلمون من اقتفائهم، فقُتِلَ فى هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفِرَاضِ عشرة أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذى القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير فى المقدمة، وأمر شَجَرة بن الأعَزّ أن يسير فى الساقة، وأظهر خالد أنه يسير فى الساقة[1].

توجه خالد للحج سنة ١٢هـ:

سار خالد فى عِدّة من أصحابه، وقصد شطر المسجد الحرام، وسار الى مكة فى طريق لم يُسْلَك قبله قط، وتأتىّ له فى ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفا على غير جادّة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة، و لم يعلم أحد بحج خالد هذه السنة إلا القليل من الناس ممن كانوا معه، و لم يعلم أبو بكر الصديق بذلك أيضاً إلا بعد ما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه فى مفارقته الجيش.

وكانت عقوبته عنده أن صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام، وقال له فيما كتب إليه: وإن الجموع لم تُشْج بعون الله شَجْيُكَ، فَلْيهْنِئُك أبا سليمان النِّيةَ والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يَدْخُلَنَّك عُجْبُ فتخسر وتُخْذَل، وإياك أن تُدِلّ بعمل فإن الله له المنّ، وهو ولىّ الجزاء[2].

---

[1] راجع الخبر في تاريخ الطبري، من طريق سيف بن عمر (٣٨٣/٣).
[2] أورده الطبري في تاريخه ٣٨٤/٣ و لم يذكر له اسناداً.

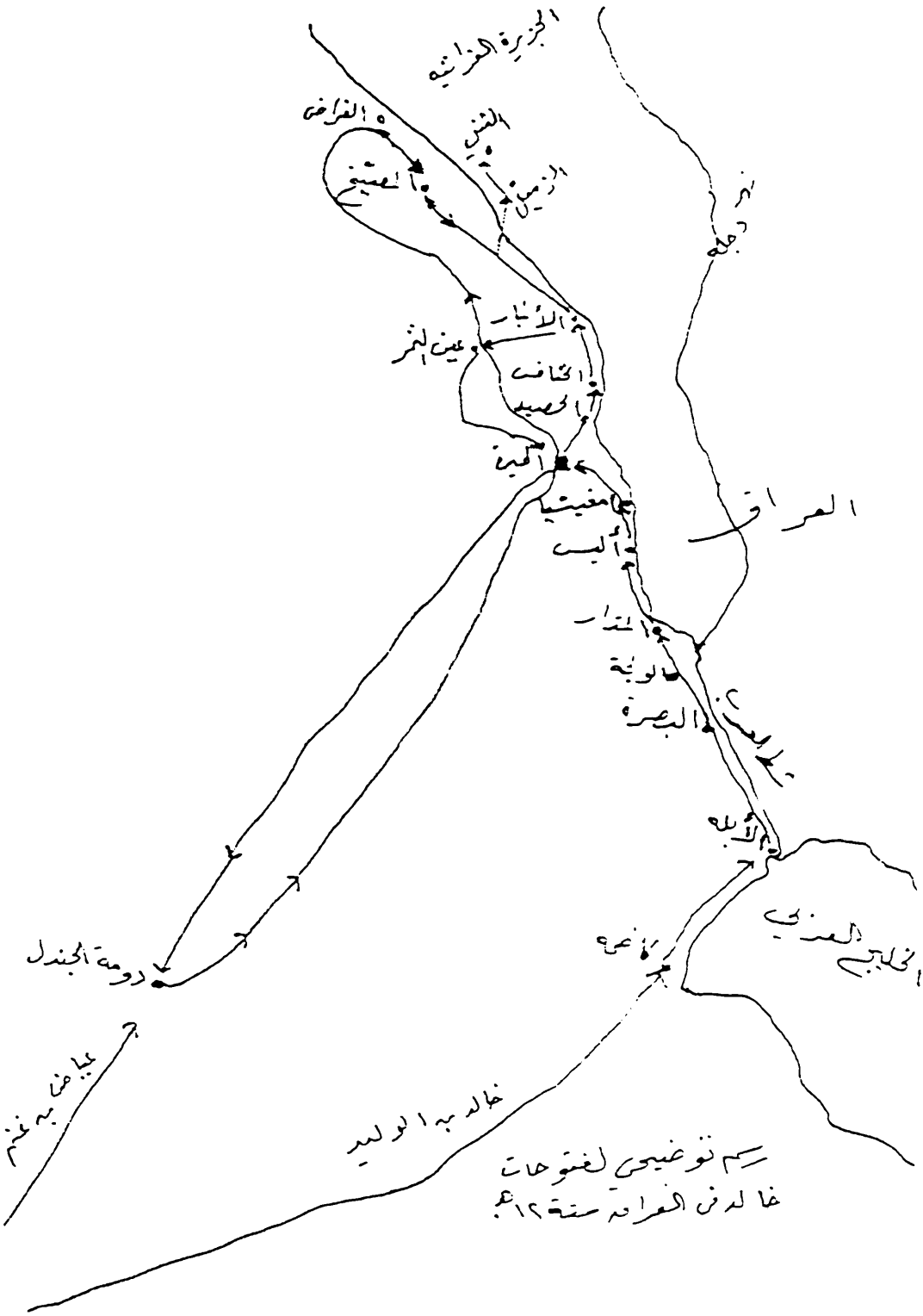
الجزيرة الفراتية
الفراض
الشق
الزميل
العقيق
نهر دجلة
الأنبار
عين التمر
الخافق
الحصيد
الحيرة
مغيثيا
أليس
الحلة
العراق
كاظمة
البصرة
الأبلة
الخليج العربي
دومة الجندل
قاعة
خالد بن الوليد
توضيحي لفتوحات
خالد في العراق سنة ١٢هـ

أمْرُ العراق بعد مجيء خالد إلى الشام:

بعد انتقال خالد رضي الله عنه إلى الشام استغنم الفرس غيبة خالد عنهم، فبعثوا إلى نائبه المثنى بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هرمز بن جاذويه، وكتب ملكهم شهريار إلى المثنى: إني بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس، إنما هم رُعَاةُ الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم. فكتب إليه المثنى: **من المثنى إلى شهريار؛ إنما أنت أحد رجلين: إما باغ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فاعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذى يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذى رَدّ كيدكم إلى رُعَاة الدجاج والخنازير.** قال: فجزع أهل فارس من هذا الكتاب، ولا موا شهريار على كتابه إليه، واستهجنوا رأيه.

سار المثنى من الحيرة إلى بابل، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عُدْوة الصّراة الأولى[1]، اقتتلوا قتالاً شديداً جداً، وأرسل الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وغنموا منهم مالاً عظيماً، وفَرّت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن فى شر حالة، ووجدوا المِلِكَ قد مات، فمَلّكُوا عليهم ابنة كسرى "بوران بنت أبرويز" فأقامت العدل، وأحسنت السيرة، ثم ماتت، فمَلّكُوا عليهم أختها "آزرميدخت زنان" فلم ينتظم لهم أمر، فملكوا عليهم "سابور بن شهريار"، وجعلوا أمره إلى الفَرّخْزَاذ بن البَنْدَوان، فزوجه سابور بابنة

[1] الصراة: بالفتح؛ وهو نهر يستمد من الفرات بنى عليه الحجاج بن يوسف مدينة النيل التي بأرض بابل (ياقوت، مصدر سابق ص٤٠٠).

كسرى "آزرميدخت" فكرهت ذلك وقالت: إنما هذا عبد من عبيدنا، فَلَمّا كان ليلة عرسها عليه هجموا عليه فقتلوه، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً، ومَلّكوا عليهم هذه المرأة وهي "آزرميدخت" ابنة كسرى. ولعبت فارس بمُلْكِها لَعِباً كثيراً، وآخر ما استقر أمرهم عليه أن مَلّكوا امرأة، وقد قال رسول الله ﷺ "لن يفلح قوم وَلّوا أمرهم امرأة"(١).

قدوم المثنى بن حارثة إلى المدينة:

ثم إن المثنى بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام، وما فيه من حرب اليرموك، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق، واستناب على العراق بشير بن الخصاصية، وعلى المسالح سعيد بن مرة العِجْلِي، فلما انتهى المثنى إلى المدينة وجد الصديق فى آخر مرض الموت، وقد عهد إلى عمر بن الخطاب، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر: إذا أنا مِتّ فلا تمسين حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فانهم أعلم بحربه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ الى كسرى وقيصر من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي (١٢٦/٨ من فتح الباري) وانظر مسند أحمد ٥٠/٥.

الفصل الخامس

الفتوحات فى بلاد الشام

(المرحلة الأولى):

تمثل جهود الصديق ﷺ في فتح بلاد الشام المرحلة الأولى من خطة الفتوحات في الجبهة الغربية (بلاد الشام ومصر وأفريقية) في عهد الخلفاء الراشدين، وهذا تفصيلها.

دوافع الفتوحات:

استهلت السنة الثالثة عشرة والصديق عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج عملا بقوله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين**﴾ [سورة التوبة، آية ١٢٣]. وبقوله تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**﴾ [سورة التوبة، آية ٢٩]، واقتداء برسول الله ﷺ فإنه جمع المسلمين لغزو الشام - وذلك عام تبوك - حتى وصلها في حر شديد وجهد، فرجع عامه ذلك، ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد مولاه ليغزو تخوم الشام كما تقدم. ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق، فبعث إليها خالد بن الوليد ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق، فشرع في جمع الأمراء من أماكن متفرقة من جزيرة العرب. وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة، ومعه الوليد بن عقبة فيهم، فكتب إليه يستنفره إلى الشام: "إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاّكهُ رسول الله ﷺ مرة، وسماه لك أخرى، وقد أحببت أبا عبدالله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك" فكتب إليه عمرو بن العاص: إني

سهم من سهام الاسلام، وأنت عبدا لله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها فارم بي فيها.

وكتب إلى الوليد بن عُقْبة بمثل ذلك ورد عليه مثله[١]، وأقبلا بعد ما استخلفا فى عملهما، إلى المدينة.

خطبة للصديق في الحث على الجهاد:

ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام فى الناس خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله، ثم حَثّ الناس على الجهاد فقال: ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حَسْبُه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد؛ فان القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حِسْبَة له، ولا عمل لمن لانِيّة له، ألا وإنّ فى كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لَمَا ينبغي للمسلم أن يحبّ أن يُخَصّ به، هي التجارة التى دَلَ الله عليها، إذ نَجىّ بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والأخرة[٢].

بعث خالد بن سعيد:

كان خالد بن سعيد بن العاص قد قدم على الصديق من اليمن، فولاّه الصديق جيشاً وبعثه إلى تيماء.

قال ابن جرير: ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء احتمع له جنود من الروم فى جمع كثير من نصارى العرب، من بَهْراء، وتَنُوخ، وبني كلْب،

---

[١] انظر تاريخ الطبري (٣/٣٨٩).

[٢] انظر تاريخ الطبرى (٣/٣٩٠).

وسَلِيح، ولَخْم، وجُذَام، وغَسّان، فتقدم إليهم خالد بن سعيد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ثم دخل كثير منهم فى الاسلام، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم؛ وأمدّه بالوليد بن عقبة، وعكرمة بن أبي جهل وجماعة، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له باهان فكسره، ولجأ باهان إلى دمشق، فلحقه خالد ابن سعيد إلى دمشق، فلما وصل إلى مَرْج الصُّفَّر[1] انطوت عليه مسالح باهان وأخذوا عليهم الطريق، وزحف باهان من دمشق ففر خالد بن سعيد، حتى انتهى إلى ذي المروة، واستحوذ الروم على جيشه إلا من فَرّ على الخيل، وثبت عكرمة بن أبي جهل، وقد تقهقر عن الشام قريباً وبقى ردءاً لمن فَرّ إليه[2]. فغضب الصديق من فعل خالد وأمره بالبقاء في ذي المروة حتى يرى رأيه.

---

[1] مرج الصفر: بالضم وتشديد الفاء، من مروج دمشق (ياقوت، مصدر سابق ٥/١٠١).

[2] انظر المصدر نفسه (٣/٣٨٩).

عقد الألويه وتسمية الأمراء:

ثم شرع الصديق فى تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات:

١- فعقد لواء ليزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس، ومعه سهيل بن عمرو، وأشباهه من أهل مكة، وخرج معه ماشياً يوصيه بما يعتمده فى حربه وبمن معه من المسلمين، وجعل له دمشق.

٢ - وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر، وخرج معه ماشياً يوصيه، وجعل له نيابة حمص.

٣ - وبعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين.

٤ - وقدم شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد، فأمّره على جيش وبعثه إلى الشام ووجهته الأردن، فلما مر بخالد ابن سعيد في ذي المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة.

ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمرّ عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان، ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقى معه بذي المروة إلى الشام.

ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد فى الدخول إلى المدينة.

فكان سلوك يزيد بن أبي سفيان على تبوك، وكذا أبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة.

وخرج عمرو بن العاص على طريق المُعْرِقَة[١] حتى نزل بغَمرْ العَرَبَات[٢]. ونزل أبوعبيدة بالجابية[٣].

وجعل الصديق يمدهم بالجيوش، وأمر كل مدد أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء.

أول المعارك:

يقال إن أول حرب وقع بالشام، أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العَرَبَة من أرض فلسطين، فوجه اليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم، وقتل منهم بَطْريقاً عظيماً[٤].

ويقال إن أبا عبيدة لما مَرّ بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام.

---

[١] المعرقة: بالضم ثم السكون، وكسر الراء، هي الطريق التي كانت قريش تسلكها في تجارتها إلى الشام، وهي طريق تأخذ على ساحل البحر الأحمر. (ياقوت، مصدر سابق ٥/١٥٥).

[٢] الغمر: هو الأرض المنخفضة، والعربة، موضع بفلسطين. (ياقوت، مصدر سابق ٤/٩٨).

[٣] الجابية: قرية جنوب دمشق.

[٤] راجع تاريخ الطبري (٣/٤٠٦).

وقعة اليرموك

تاريخ الموقعة:

كانت وقعة اليرموك في هذه السنة ١٣هـ قبل فتح دمشق، على ما ذكره سيف ابن عمر، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله[١].

وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فانه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة، والوليد بن مسلم، وابن لهيعة، والليث بن سعد، وأبي معشر، أنها كانت في سنة خمس عشرة[٢] بعد فتح دمشق.

وقال محمد بن إسحاق وخليفة بن خياط: كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة[٣]. قال ابن عساكر: وهذا هو المحفوظ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه[٤].

اجتماع الروم واستعدادهم للمعركة:

قال ابن كثير: وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره. قال: ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر، فيقال إنه كان يومئذ بحمص وكان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس. فلما انتهى إليه الخبر قال لهم: ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنه لا قِبَل لأحد بهم،

---

[١] المصدر نفسه ٣/٤٤١.

[٢] تاريخ دمشق (١/٢٥٤ خط).

[٣] تاريخ خليفة ص ١٣٠.

[٤] قلت: المشهور رواية سيف، وقد اعتمدها الطبري، وسار عليها، وتابعه ابن الأثير، وقدّمها الحافظ ابن كثير.

فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم. فنخروا من ذلك نخرة حُمُر الوَحْش، كما هي عاداتهم، فعند ذلك سار إلى حمص، وأمر بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء، فى مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاً له لأبويه تَذَارِق فى تسعين الفاً من المقاتلة، وبعث جَرَجَه بن توذرا إلى ناحية يزيد ابن أبي سفيان، فعسكر بازائه فى خمسين ألفاً أو ستين الفاً، وبعث الدُّراقص إلى شرحبيل بن حسنة، وبعث الفيقار ويقال القيقلان بن نسطوس - وهو خَصِيّ هرقل - فى ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح.

وقالت الروم: وا لله لنشغلن ابا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا. وجميع عساكر المسلمين أحدُ وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل - وكان واقفاً فى طرف الشام ردءاً للناس - فى ستة آلاف فكتب الأمراء إلى أبي بكر يعلمونه بما وقع من الأمر العظيم، فكتب إليهم: أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله، وا لله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، وليصلّ كل رجل منكم بأصحابه[1].

ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع، بعث إلى أمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش منزلاً واسع العطن، واسع

[1] تاريخ الطبري ٣/٣٩٣ من رواية سيف بن عمر.

المطرد، ضَيّق المهرب، وعلى الناس أخوه تَذَارِق، وعلى المقدّمة جَرَجَه، وعلى المجنبتين باهان، والدراقص، وعلى الحرب الفيقار[١].

قال سيف: فسارت الروم فنزلوا الواقوصة قريباً من اليرموك، وصار الوادي خندقا عليهم.

مسير خالد من العراق إلى الشام:

وبعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه، ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام، فاذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم. فاستناب المثنى بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعاً فى تسعة آلاف وخمسمائة، ودليله رافع بن عُمَيرة الطائي، فأخذ به على السماوة[٢] حتى انتهى إلى قُراقِر[٣]، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد، فاجتاب البراري والقفار، وقطع الأودية، وتصعد على الجبال، وسار فى غير مهيع، وجعل رافع يدلهم فى مسيرهم على الطريق وهو فى مفاوز مُعْطِشَة[٤]، وعطّش النوق، وسقاها الماء عَلَلا بعد نَهْل[٥]، وقطع مشافرها وكعمها حتى لا تجترّ، واستاقها معه، فلما فقدوا الماء نحرها فشربوا ما فى أجوافها من الماء، ويقال: بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] صحراء معروفة، وهي أرض مستوية لا شجر فيها ولا حجر، تقع بين الكوفة والشام (ياقوت، مصدر سابق ٣/٢٤٩).

[٣] قراقر: وادٍ لكلب بأرض السماوة من ناحية العراق (المصدر السابق ٤/٣١٨).

[٤] معطشة: أي ليس بها ماء.

[٥] النَّهْلُ: الشربة الأولى، والعَلَلُ الشربة الثانية.

وأكلوا لحومها. ووصل و لله الحمد والمنة إلى سُوَى[١] فى خمسة أيام، فخرج على الروم من ناحية تَدْمُر[٢] فصالح أهل تَدْمُر وأَرَكَه[٣]، ولما مر بَعْذراء[٤] أباحها، وغنم لغَسّان أموالاً عظيمة، وخرج من شرقي دمشق، ثم سار حتى وصل إلى قناة بُصْرَى[٥]، فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلمها إليه، فكانت أول مدينة فتحت من الشام و لله الحمد.

وبعث خالد بأخماس ما غنم من غَسّان مع بلال بن الحارث المزني إلى الصديق.

وقد قال رجل من المسلمين فى مسيرهم هذا مع خالد:

لله عَيْنا رافِعٍ أنّى اهتدَى فَوّزَ[٦] ... من قُرَاقِر إلى سُوَى

خِمْساً[٧] إذا ما ساره الجيشُ بَكى ... ماسارها قَبْلك إنسيٌّ يُرَى

وقد كان بعض العرب قال له فى هذا المسير: إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك، فسار خالد بمن معه وسَرَوْا سَرْوة عظيمة فاصبحوا عندها، فقال خالد: عند الصباح يحمد القوم السُّرى. فأرسلها مثلاً، وهو أول من قالها[٨].

---

[١] سُوى: بضم أوله والقصر، اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة، مَرّ به خالد في طريقة من العراق إلى الشام (ياقوت، مصدر سابق ٣/٢٧١).

[٢] تَدْمُر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام (المصدر السابق ٢/١٧).

[٣] أرَكَه: مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر (المصدر السابق ١/١٥٣).

[٤] عَذْراء: بالفتح ثم السكون، والمد، قرية بغوطة دمشق، وإليها ينسب أحد المروج فيقال: مرج عذراء (المصدر السابق ٤/٩١).

[٥] بُصرى: بالضم والقصر، من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران (المصدر السابق ١/٤٤١).

[٦] في الأصل قرفون وهو تصحيف.

[٧] خِمْساً: الخمس: بكسر الخاء، من أظماء الإبل، وهو أن ترعى ثلاثة أيام وتَرِد اليوم الرابع. (ابن منظور، لسان العرب ٦/٦٩).

[٨] انظر، الميداني، مجمع الأمثال ٢/٦ وهو مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة.

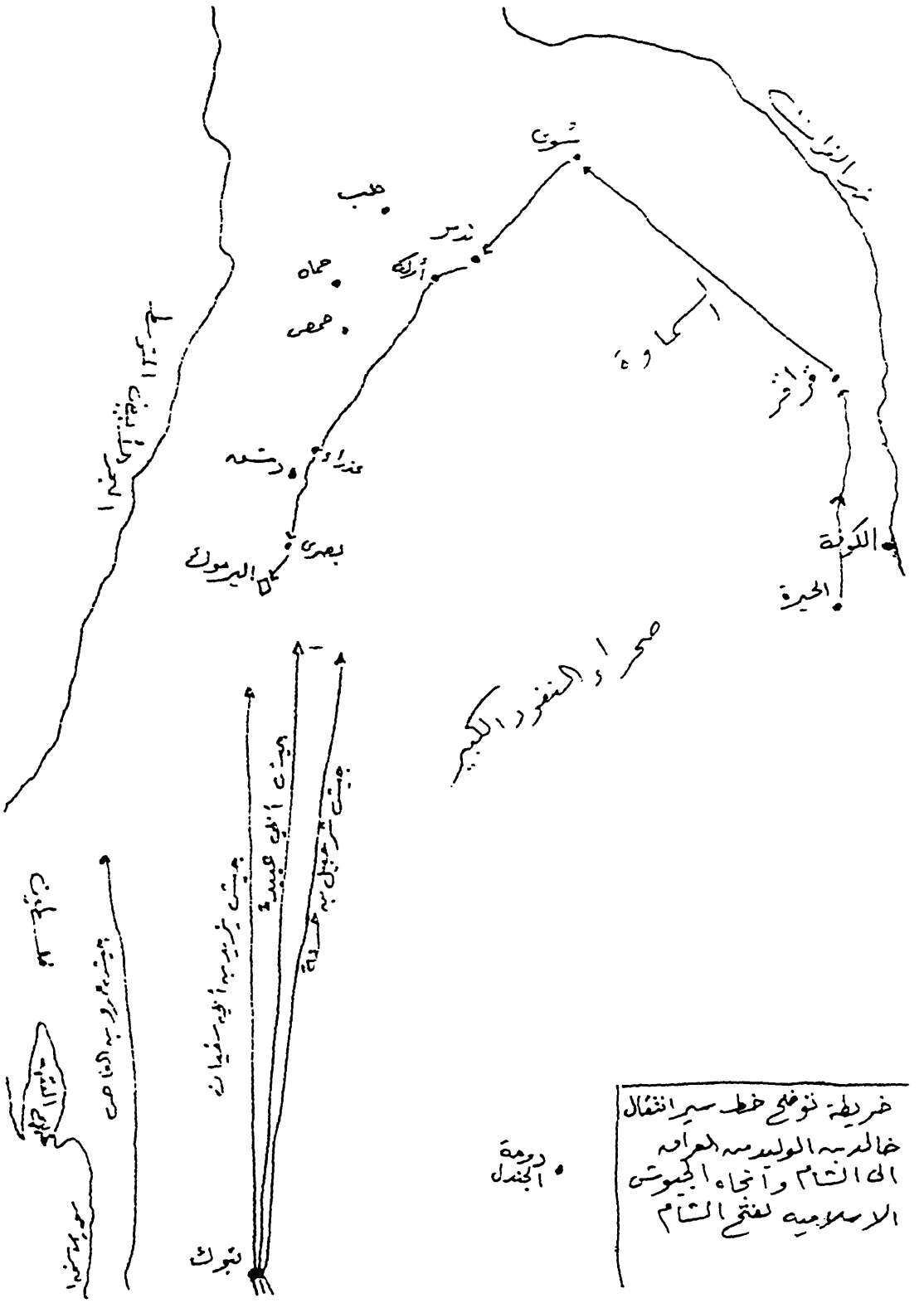

خريطة توضح خط سير انتقال خالد بن الوليد من العراق الى الشام واتجاه الجيوش الاسلامية لفتح الشام

اجتماع الجيوش الإسلامية والاستعداد للمعركة:

حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوصة[١]، وانتقل الصحابة من منزلهم الذى كانوا فيه فنزلوا قريباً من الروم فى طريقهم الذى ليس لهم طريق غيره، فقال عمرو بن العاص: أبشروا أيها الناس، فقد حُصِرت والله الروم، وقلّما جاء محصور بخير[٢]. ويقال: إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة فى كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال: ما كنت أظن أني أُعَمّر حتى أدرك قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم تسير الأثقال والذراري فى الثلث، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا فى مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البُرُد والمدد، فامتثلوا ما أشار، ونعم الرأى هو.

وبعد وصول خالد إلى الشام، أقبل باهان مدداً للروم ومعه القساوسة، والشمامسة، والرهبان، يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف، ثمانون ألف مسلسل بالحديد والحبال، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل[٣]. قال

---

[١] الواقوصة: وادٍ بجوار نهر اليرموك، منخفض ذو أُهْوِية، سقط فيه المسلسلون من جيش الروم (ياقوت، مصدر سابق ٥/٣٥٥).

[٢] تاريخ الطبري ٣/٣٩٣.

[٣] قارن بتاريخ الطبري ٣/٣٩٤.

سيف: وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة فى سلسلة لئلا يفروا ثلاثين ألفاً، فا لله أعلم.

قال سيف: وقدم عكرمة بمن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين الفاً إلى الأربعين ألفاً.

ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة، وعمرو بن العاص ناحية، وجيش يزيد، وشرحبيل ناحية، فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف، فاجتمع الناس وتصافوا مع عدوهم فى أول جمادى الآخرة، وقام خالد بن الوليد فى الناس خطيباً، فحمد ا لله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام ا لله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا ا لله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده، لورددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً[١].

التعبئة العسكرية:

خرجت الروم فى تعبئة لم ير مثلها قبلها، وخرج خالد فى تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك. فخرج فى ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين، كل كردوس ألف رجل، وجعل أبا عبيدة فى القلب، وعلى الميمنة عمرو بن العاص، ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان. وأمّر على كل كردوس أميراً، وعلى الطلائع قَبَاث[٢] بن أَشْيَمَ، وعلى الأقباض عبدا لله بن مسعود، والقاضي يومئذ أبو الدرداء، وقاصّهم الذي يعظهم

---

[١] المصدر نفسه ٣/٣٩٥.

[٢] في الأصل قباب وهو تصحيف.

ويحثهم على القتال أبو سفيان بن حرب، وقارئهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود[١].

ولما أقبلت الروم فى خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء، يصيحون باصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الأنجيل ويحثونهم على القتال، ساق خالد بفرسه إلى أبى عبيدة فقال له: إني مشير بأمر، فقال: قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع. فقال له خالد: إن هؤلاء القوم لابد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها، وإني أخشى على الميمنة والميسرة، وقد رأيت أن افرق الخيل فرقتين، وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم ردءاً فنأتيهم من ورائهم. فقال له: نعم ما رأيت. فكان خالد فى أحد الخيلين من وراء الميمنة وجعل قيس ابن هبيرة فى الخيل الأخرى، وأمر أباعبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله، لكي إذا رآه المنهزم استحى منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة مكانه فى القلب، سعيد بن زيد، أحد العشرة رضي الله عنه، وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن الخناجر والعمد، فقال لهن: من رأيتنه مولياً فاقتلنه، ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه [٢].

التعبئة الإيمانية:

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة المسلمين، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق، يا

---

[١] ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٩٧.

[٢] انظر الأزدي، فتوح الشام ص ٢٢٠ - ٢٢١.

معشر المسلمين: اصبروا، فان الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تَخْطوا إليهم خطوة، ولا تبدوهم بالقتال وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله تعالى.

وخرج معاذ بن جبل على الناس، فجعل يذكرهم ويقول: يأأهل القرآن، ومستحفظي الكتاب وأنصار الهُدَى وأولياء الحق، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم...**﴾ (سورة النور آية: ٥٧). فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فُرّاراً من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه، ولاعز بغيره.

- وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون، غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، واشرعوا الرماح، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان إحساناً لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقَصْراً قَصْراً، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لوصدقتموهم الشّدة تطايروا تطاير أولاد الحجل.

- وقال أبو سفيان: يا معشر المسلمين إنكم قد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين وامداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حَنَقُه، وقد وترتموهم في أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وديارهم، والله لا ينجيكم من

هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء، والصبر فى المواطن المكروهة، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا، ولتكن هى الحصون. ثم ذهب إلى النساء فَوَصَّاهن[١].

وقد وعظ الناسَ أبو هريرة أيضاً فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل فى جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم فى موطن بأحب إليه منكم فى مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم[٢].

قال سيف بن عمر باسناده عن شيوخه: قالوا كان فى ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر[٣].

وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الاسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك[٤].

قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من تَوَجّيَه، وأنهم أضعفوا فى العدد، وكان فرسه قد حفِيَ واشتكى فى مجيئه من العراق[٥].

---

[١] ذكر هذه الأقوال أبو اسماعيل الأزدي في فتوح الشام ص ٢١٨- ٢٢٠.

[٢] المصدر نفسه ص ٢٢٥.

[٣] انظر تاريخ الطبري ٣٩٧/٣.

[٤] المصدر نفسه ٣٩٧/٣.

[٥] المصدر السابق ٣٩٨/٣ و٤٠٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤١٢/٢.

المفاوضات قبل القتال:

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان نحو جيش الروم، ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبو جندل بن سهيل، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم فى الدخول على تَذَارِق، وإذا هو جالس فى خيمة من حرير. فقال الصحابة: لا نستحل دخولها، فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبوا وتفاوضوا على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عز وجل، فلم يتم ذلك[١].

وذكر الوليد بن مسلم، أن باهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا فى مصلحة لهم. فقال باهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجَهْد والجوع، فهلموا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها.

فقال خالد: **إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك. فقال أصحاب باهان: هذا وا لله ما كنا نحدث به عن العرب**[٢].

---

[١] الطبري المصدر السابق ٣/٤٠٣.

[٢] ذكر المحاوره بأطول مما هنا أبو اسماعيل الأزدي، فتوح الشام ص ١٩٩-٢٠٧.

إنشاب القتال:

لما تكامل الاستعداد، و لم تنجح المفاوضات تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل، والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبتى القلب - أن ينشبا القتال، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البِرَاز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحمى الحرب وقامت على ساق.

هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر أمر الحرب أتم تدبير.

إسلام أحد قادة الروم فى ميدان المعركة:

وخرج جَرَجَه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجه: يا خالد، أخبرني فاصدقنى ولا تكذبني، فان الحر لا يكذب، ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل با لله، هل أنزل ا لله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تَسلّه على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا، قال: فيم سميت سيف ا لله؟ قال: إن ا لله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صَدّقه وتابعه، وبعضنا كذّبه وباعده، فكنتُ فيمن كذّبه وباعده، ثم إن ا لله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: أنت سيف من سيوف ا لله سله ا لله على المشركين[1]، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف ا لله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

---

[1] سماه بذلك رسول ا لله ﷺ كما في صحيح البخاري، كتاب المغازى، باب غزوة مؤتة حديث رقم ٤٢٦٠ (٧/٥١٠ فتح الباري).

فقال جرجه: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله الله وأن محمداً عبده ورسوله، والاقرار بما جاء به من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فان لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب، ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا، ووضيعنا، وأولنا، وآخرنا. قال جرجه: فلِمَن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حَيّ بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية، كان أفضل منا؟ فقال جَرَجَه: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وأن الله ولي ما سألت عنه. فعند ذلك قلب جَرَجَة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الاسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسنّ عليه قِرْبة من ماء، ثم صلى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حَمْلة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام[1].

[1] القصة في تاريخ الطبري ٣/٣٩٨، من رواية سيف عن شيوخه. وذكرها الأزدي في فتوح الشام ص ١٩٥ من وجه آخر.

صور من التضحية والبطولة:

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بلى! فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا، وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل فى الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفى رواية جرح. وقد روى البخاري معنى ماذكرناه فى صحيحه[١].

وجعل معاذ بن جبل، كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، ورضّنا بالقضاء[٢].

وخرج باهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان، وكان عدو الله متنسكاً فيهم، فحمل على الميمنة وفيها الأزد، ومذحج، وحضرموت، وخولان، فثبتوا حتى صدوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال. فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صُوْر من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نَهْنَهُوا مَنْ أمامهم من الروم، وأشغلوهم عن اتباع من

---

[١] صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام، حديث رقم ٣٧٢١، (فتح الباري ٧/٨٠).

[٢] الأزدي، فتوح الشام ص ٢٢٢.

انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم مِن سَرَعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة. فتراجع الناس إلى مواقفهم[١].

فقال: عكرمة بن أبي جهل: قاتلتُ رسولَ الله ﷺ في مواطن وأفرمنكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عَمُّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أُثْبِتُوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق، منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنه[٢].

وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صُرِعُوا من الجراح استسقوا ماء، فجئ إليهم بشربة ماء، فلما قُرّبت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً، ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم أجمعين.

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك حاجة الى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، تقرئه عني السلام وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله.

قالوا: وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا، فلم تَرَ يومَ اليرموكِ إلا مُخّاً ساقطاً، ومِعْصَما نادراً، وكفاً طائرة من ذلك الموطن.

---

[١] الأزدي، المصدر نفسه ص ٢٢٢.

[٢] ابن جرير، تاريخ الأمم والرسل ٣/٤٠١.

ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التى حملت على ميمنة المسلمين، فأزالوهم إلى القلب، فَقَتلَ من الروم فى حملته هذه ستة آلاف، ثم قال: والذى نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجَلَدِ غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفضّ جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم[1].

كيف انتهت المعركة:

ركب خالد ومعه جَرَجَه، - والروم خلال المسلمين ــ فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجَرَجَه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب. وصلى المسلمون صلاة الظهر، وصلاة العصر إيماءً، وأصيب جَرَجه رحمه الله ولم يصلّ لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنه، وضُعْضِعَت الروم عند ذلك.

ثم نهد خالد بالقلب حتى صار فى وسط خيول الروم، فعند ذلك هربت خيالتهم، واسندت بهم فى تلك الصحراء، وأفرج لهم المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا.

وعمد خالد إلى قلب الروم، وهم الرجّالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم، ثم تبعوا من فَرّ من الخيالة، واقتحم خالد عليهم خندقهم، وجاء الروم فى ظلام الليل إلى الواقوصة، فجعل

---

[1] الأزدي، المصدر السابق ص ٢٢٦.

الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه.

قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل فى المعركة[١]. وقد قاتل نساء المسلمين فى هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن: أين تذهبون، وتدعوننا للعلوج؟ فاذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال.

قال: وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالو: إذا لم نقدرعلى نصر دين النصرانية فنمت على دينهم. فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم[٢]. قالوا: وقتل فى هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عكرمة، وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأُثْبِت خالد بن سعيد فلا يُدْرَى أين ذهب، وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة[٣].

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان، وقاتل قتالاً شديداً، وذلك أن أباه مَرّ به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر، فانه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين الا محقوقاً بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا

---

[١] الطبري، المصدر السابق ٣/٤٠٠ ويقدرهم الأزدي في فتوح الشام ص ٢٣٠ بمائة ألف وفي رواية أنهم أحصوا فوجدوا أكثر من ثمانين ألفاً.

[٢] المصدر نفسه ٣/٤٠٠.

[٣] المصدر نفسه ٣/٤٠٢ وانظر عن رؤيا الطفيل ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٢٩.

المسلمين؟! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب فى الأجر والصبر فى الحرب، ولا أجرأ على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله. فقاتل يومئذ قتالاً شديداً وكان من ناحية القلب رضي الله عنه [١].

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد[٢].

وأخر الناس صلاتي العشاء حتى استقر الفتح[٣].

وأكمل خالد ليلته فى خيمة تَذَارِق أخى هرقل ـ وهو أمير الروم كلهم يومئذ[٤] وهرب فيمن هرب وباتت الخيول تجول حول خيمة خالد، يقتلون من مَرّبهم من الروم حتى أصبحوا، وقُتِلَ تذَارِق وكان له ثلاثون سرادقاً، وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم. وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن عوضهم الله بالفاروق رضي الله عنه.

---

[١] الأزدي، المصدر السابق ص ٢٢٨.

[٢] أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/٩٠ باسناد صحيح في ترجمة أبي سفيان من الطبقة الرابعة من الصحابة بتحقيق د. عبدالعزيز السلومي، وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة ٣/٣٠٠ من طريق ابن سعد، وقال ابن حجر في الإصابة ٥/١٢٩ اسناده صحيح.

[٣] الطبري، المصدر السابق ٣/٤٠٠.

[٤] المصدر نفسه ٣/٤٠١.

قدوم البريد بوفاة الصديق:

قالوا: وبينما هم فى جولة الحرب، وحومة الوغى، والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز، فدفع إلى خالد ابن الوليد فقال له: ما الخبر؟ فقال له ــ فيما بينه وبينه: إن الصديق رضي الله عنه قد توفى واستخلف عمر، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح. فأسرها خالد و لم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن فى تلك الحال، وقال له والناس يسمعون: أحسنت، وأخذ منه الكتاب فوضعه فى كنانته، واشتغل بما كان فيه تدبير الحرب والمقاتلة، وأوقف الرسول الذي جاء بالكتاب - وهو محمية بن زنيم[1] إلى جانبه. كذا ذكره ابن جرير بأسانيده.

وقال خالد حين عَزّى المسلمين فى الصديق: الحمد لله الذي قضى على أبى بكر بالموت، وكان أحب إلي من عمر، والحمد لله الذى وَلّى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر ثم ألزمني حبه[2].

سِرُّ هزيمة الروم وسؤال هرقل عن ذلك:

قال الوليد بن مسلم: أخبرني من سمع يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قالا: لما نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك، فبينا نحن فيها إذ أرسل إلينا بَطْرِيْقَها فجئناه فقال: أنتما من العرب؟ قلنا نعم! قال: وعلى النصرانية قلنا: نعم. فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم،

---

[1] فى الأصل منحمة والتصحيح من تاريخ الطبري ٣٩٨/٣، وانظر ترجمته فى الإصابة ٢٨٠/٦.

[2] تاريخ الطبري ٤٠٢/٣، من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا، فلبث ملياً ثم جاءه فقال: جئتك من عند رجال دقاقاَ، يركبون خيولاً عتاقا، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حَدّثْتَ جليسكَ حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال: فالتفتَ إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم مالا طاقة لكم به[1].

روى أحمد بن مروان المالكي[2] فى المجالسة: ثنا أبواسماعيل الترمذي ثنا أبو معاوية بن عمرو عن أبي إسحق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فُوَاق[3] ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزنى، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم، ونأمر بالسخط، وننهى عما يرضي الله، ونفسد فى الأرض. فقال: أنت صدقتني[4].

---

[1] أخرج نحوه الأزدي في فتوح الشام ص ٢١١.

[2] ترجمته في الديباج المذهب ١٥٢/١، وفي سير أعلام النبلاء ٤٢٧/١٥، ولسان الميزان ٣٠٩/١.

[3] فواق الناقة: قدر ما بين الحلبتين من الوقت (مختار الصحاح مادة: فوق).

[4] أخرجه أبو اسماعيل الأزدي في فتوح الشام ص ١٤٩-١٥١ من طريق أبي جهضم عن عبدالملك بن السليك عن عبدالله بن قرط الثمالي وكان قد شهد فتوح الشام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

ابن الأثير (علي بن محمد الجزري (ت، ٦٣٠هـ).

- الكامل في التاريخ (١٣ مجلد)، دار صادر ودار بيروت.

ابن الأثير المبارك بن محمد الجزرى، (ت،٦٠٦هـ).

- النهاية في غريب الحديث والآثر، تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، نشر المكتبة الاسلامية.

أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤٠هـ).

- المسند (ستة مجلدات) تصوير دار صادر بيروت.

- المسند بتحقيق أحمد شاكر وصل فيه إلى الجزء (١٦) ولم يتمه، دار المعارف بمصر سنة ١٣٦٨- ١٣٧٥هـ.

أحمد محمد شاكر.

- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (٥ أجزاء)، دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٦هـ.

الأزدى (أبو اسماعيل محمد بن عبد الله (القرن الثالث هـ).

- فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، نشر سجل العرب سنة ١٩٧٠م.

الأشعري (ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت٣٢٠هـ).

- الإبانة عن أصول الديانة، عنت بنشره دار الطباعة المنيريه.

الألباني (محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي).

- سلسلة الأحاديث الصحيحه مجلد٣، نشر المكتب الاسلامي ط١، سنة ١٣٩٩هـ.

- مختصر الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، المكتبة الاسلامية، عمان الأردن، ط١، سنة ١٤٠٥هـ.

الإمام البخاري (محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ).

- الجامع الصحيح (طبعة استانبول (٨ أجزاء).

- الجامع الصحيح مع فتح الباري (١٣مجلد) طبع المكتبة السلفية بمصر.

البلاذرى (أحمد بن يحى بن جابر، (ت، ٢٧٩هـ).

- فتوح البلدان (٣ أجزاء)، تحقيق، د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية.

البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨هـ).

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (٧ مجلدات)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ط١، سنة ١٤٠٥هـ.

الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة (ت، ٢٧٩هـ).

- سنن الترمذي (٥ مجلدات)، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.

ابن تغري بردى (جمال الدين يوسف الأتابكى (ت، ٨٧٤هـ).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للترجمة.

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت،٧٢٨هـ).

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (٩ مجلدات مع الفهارس)، تحقيق محمد رشاد سالم طبع جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).

- الإصابة في معرفة الصحابة(٨ مجلدات)، تحقيق علي محمد البجاوى، دار نهضة مصر.

- لسان الميزان (٧ مجلدات)، ط٢، دار الأعلمى للمطبوعات، بيروت.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (٤ مجلدات)، تحقيق علي محمد البجاوى، المكتبة العلمية، بيروت.

ابن حزم (علي بن حزم الظاهري (ت،٤٥٦هـ).

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط٤.

خليفة بن خياط العصفرى (ت، ٢٤٠هـ).

- تاريخ خليفة، تحقيق اكرم ضياء العمرى، مؤسسة الرسالة، دار القلم ط٢، سنة ١٣٩٧هـ.

خورشيد أحمد فاروق

- تاريخ الردة، اقتباس وتهذيب من كتاب الاكتفاء للكلاعي البلنسي، ط٢، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة.

أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت، ٢٧٥هـ).

- سنن أبى داود (٥ مجلدات مع الفهارس)، تحقيق عزت عبيد دعاس، دار الحديث، بيروت.

الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان، (ت، ٧٤٨هـ).

- سير أعلام النبلاء (٢٣ مجلداً)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، دار الرسالة، بيروت.
- المعجم المختص، تحقيق محمد الحبيب الهيله، مكتبة الصديق بالطائف، ط١، سنة ١٤٠٨هـ.

الرازي (محمد بن أبي بكر، (ت، ٦٦٦هـ).

- مختار الصحاح، دار الكتاب، العربي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٧م.

الساعاتي (أحمد بن عبد الرحمن البنا).

- الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، (١٢ مجلداً)، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة.

ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع، (ت، ٢٣٠هـ).

- الطبقات الكبرى، (٩ مجلدات)، دار صادر، دار بيروت.
- الطبقة الرابعة من الصحابة (مجلدان)، تحقيق د. عبد العزيز السلومي، مكتبة الصديق بالطائف سنة ١٤١٦هـ.

ابن أبي شيبة (عبد الله بن محمد الكوفى العبسي، (ت، ٢٣٥هـ).

- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، (١٥ مجلد) نشر الدار السلفية في يومباى، الهند.

الطبري (محمد بن جرير، (ت، ٣١٠هـ).

- تاريخ الرسل والملوك، (١٠ مجلدات مع الفهارس) محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢.
- جامع البيان عن تأويل أى القرآن (١٢ مجلداً)، ط٣، سنة ١٣٨٨هـ، نشر مكتبة مصطفى البابى، بمصر.

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن، (ت، ٥٧١هـ).

- تاريخ دمشق، مصورة عن مخطوطة، نسخة المكتبة الظاهرية، (١٩ مجلداً).

ابن العماد (عبد الحي بن أحمد الحنبلي، (ت، ١٠٨٩هـ).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٤ مجلدات)، دار الأفاق الجديدة، بيروت.

ابن فرحون (ابراهيم بن علي المالكي، (ت، ٧٩٩هـ).

- الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب (مجلدان)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، نشر دار الحديث بالقاهرة.

ابن كثير (اسماعيل بن عمر القرشي، (٧٧٤هـ).

- البداية والنهاية، (٧ مجلدات) دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم، (٤ مجلدات)، دار المعرفة، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم (٨ مجلدات)، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون، دار الشعب بمصر.

مسعود الرحمن خان الندوي.

- ابن كثير كمؤرخ، مركز الدراسات الأسيوية الغربية، جامعة عليكره في الهند ط١، سنة ١٩٨٠م.

الإمام مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري، (ت، ٢٦١هـ).

- صحيح مسلم، (٥ مجلدات مع الفهارس)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي.

ابن منظور (محمد بن مكرم الأفريقي، (٧١١هـ).

- لسان العرب، (١٥ مجلد)/ دار صادر، بيروت.

الميداني (أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، (ت، ٥١٨هـ).

- مجمع الأمثال، (٣ أجزاء)، حققه وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد نشر مكتبة السنة النبوية، سنة ١٣٧٤هـ.

ابن النديم (محمد بن إسحاق، (ت، ٣٧٧هـ).

- الفهرست، طبقة رضا تجدد، طهران، سنة ١٩٧١م.

النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي، (ت، ٩٢٧هـ).

- الدارس في أخبار المدارس (مجلدان). تحقيق جعفر الحسيني، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٦٧هـ.

ابن هشام (عبد الملك بن هشام الحميري، (ت، ٢١٨هـ).

- السيرة النبوية، (مجلدان)، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، البابي الحلبي، ط٢، سنة ١٣٧٥هـ.

- السيرة النبوية، مع شرح أبي ذر الخشني، (٤ مجلدات)، تحقيق محمد أبو صعيليك، وهمام سعيد دار نشر مكتبة المنار بالأردن، ط١ ، سنة ١٤٠٩هـ.

وكيع (محمد بن خلف القاضي، (ت، ٣٠٦هـ).

- أخبار القضاة، (٣ مجلدات)، عالم الكتب بيروت.

ياقوت الحموى (ياقوت بن عبد الله الرومي، ٦٢٦هـ).

- معجم البلدان (٥ مجلدات) دار صادر بيروت، سنة ١٣٩٧هـ.

فهرس أماكن الموضوعات في كتاب البداية والنهاية

الموضوع	رقم الجزء والصفحة
خطبة رسول الله ﷺ قبل وفاته بخمسة أيام.....	٥/٢٢٨-٢٣٠
ذكر أمره عليه السلام أبا بكر أن يصلي بالصحابة	٥/٢٣١-٢٣٦
شبهة وردها	٥/٢٢٧-٢٢٨
وفاة رسول الله وأثر ذلك على المؤمنين	٥/٢٤١-٢٤٢
تنبيه	٥/٢٤٣-٢٤٤
ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته وقبل دفنه	٥/٢٤٤
قصة سقيفة بني ساعد	٥/٢٤٥-٢٤٧
اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة	٥/٢٤٧-٢٤٨
بيعة الصديق في المسجد وخطبته	٥/٢٤٨
بيعة علي والزبير	٥/٢٤٨-٢٤٩ثم٦/٣٠٢
فائدة جليلة	٥/٢٤٩
اجماع الصحابة على اختيار الصديق وبيعته بالخلافة من غير نص	٥/٢٥٠-٢٥٢
الرد على الرافضه	٥/٢٥٢
الرد على الطرقية والقصاص	٥/٢٥٢
ما حصل من فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما بسبب ميراث النبي	٥/٢٨٥-٢٨٦
رد شبهة	٥/٢٩٠
استرضاء أبي بكر فاطمة قبل وفاتها	٥/٢٨٩
تجديد علي بيعته لأبي بكر بعد وفاة فاطمة	٥/٢٨٦-٢٨٧
خطبة للصديق بعد البيعة ودفن رسول الله	٦/٣٠٣

الموضوع	رقم الجزء والصفحة
تنفيذ جيش أسامة	٣٠٤/٦
تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة	٢٧٩/٥و٣١١/٦-٣١٣
غزو الصديق للمرتدين حول المدينة	٣١٣/٦-٣١٤
رجوع جيش أسامة	٣١٤/٦
خروج الصديق إلى ذي القصه وبعث الامراء لقتال المرتدين	٣١٤/٦-٣١٥
المنشور الموجه إلى أهل الردة	٣١٥/٦-٣١٦
خروج الأسود العنسي باليمن في حياة رسول الله	٣٠٧/٦-٣١١ثم٣٠٥
ردة أهل اليمن بعد وفاة رسول الله	٣٣١/٦
مسير خالد بن الوليد من ذي القصه لقتال المرتدين	٣١٦/٦-٣١٧
معركة بزاخه والقضاء على بني أسد	٣١٧/٦-٣١٨
كتاب الصديق إلى خالد بعد هزيمة طليحة	٣١٨/٦-٣١٩
قصة أم زمل	٣١٩/٦
قصة الفجاءة	٣١٩/٦
سجاح وبنو تميم	٣١٩/٦-٣٢١
خبر مالك بن نويرة وقومه	٣٢١/٦-٣٢٣
معركة عقرباء باليمامة ومقتل مسيلمة الكذاب	٣٢٣/٦-٣٢٦
تاريخ الموقعة	٣٢٦/٦
قدوم وفد بني حنيفة على الصديق	٣٢٦/٦-٣٢٧
ردة أهل البحرين وعودهم إلى الاسلام	٣٢٧/٦-٣٢٨
كرامة للعلاء بن الحضرمي	٣٢٨/٦-٣٢٩

الموضوع	رقم الجزء والصفحة
ردة أهل عُمان	٣٢٩/٦-٣٣٠
بلاد مهره	٣٣٠/٦-٣٣١
ملخص حروب الردة	٣٣١/٦-٣٣٢ثم ص٣٤٢
بعث خالد إلى العراق	٣٤٢/٦
تاريخ بعثه إلى العراق	٣٤٢/٦
فتح الأبله	٣٤٤/٦
وقعة المذار	٣٤٤/٦-٣٤٥
معركة الوجة	٣٤٥/٦
وقعة أليّس	٣٤٦/٦-٣٤٧
صلح الحيرة	٣٤٣/٦-٣٤٤ ثم٣٤٧-٣٤٨
فتح خالد للأنبار	٣٤٨/٦-٣٤٩
وقعة عين التمر	٣٤٩/٦-٣٥٠
خبر دومة الجندل	٣٥٠/٦-٣٥١
خبر وقعتي الحصيد والمصيخ	٣٥١/٦-٣٥٢
وقعة الثني والزميل	٣٥٢/٦
وقعة الفراض	٣٥٢/٦
توجه خالد للحج سنة ١٢هـ	٣٥٢/٦
أمر العراق بعد مجيء خالد للشام	١٦/٧-٤٧
قدوم المثنى بن حارثة الشيباني إلى المدينة	١٧/٧
دوافع الفتوحات لبلاد الشام	٢/٧

الموضوع	رقم الجزء والصفحة
خطبة للصديق في الحث على الجهاد	٣/٧
بعث خالد بن سعيد إلى الشام	٤/٧
عقد الألوية وتسمية الأمراء	٤-٣/٧
أول المعارك في بلاد الشام	٤/٧
وقعة اليرموك	١٤-٤/٧
قدوم البريد بوفاة الصديق	١٢/٧
سرّ هزيمة الروم وسؤال هرقل عن ذلك	١٥/٧

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

المقدمة ٣

منهج التهذيب وعملي فيه ٥

الامام الحافظ ابن كثير وكتابه البداية والنهاية ..... ٨ - ١٤

- أقسام الكتاب ١٠

- منهجه ومصادره ١١

الفصل الأول: ترجمته ﷺ ١٦-٣٥

- نسبه ١٦

- صفته ١٦

- اسلامه ١٧

- زوجاته وأولاده ١٨

- بعض فضائله ومناقبه ١٩

- صاحبه في الغار ١٩
- أبو بكر أعلم الصحابة ٢٠
- أبو بكر أفضل الصحابة ٢٢
- منزلته عند رسول الله ٢٣
- قدم اسلامه ٢٤
- أحب الناس إلى رسول الله ٢٤
- قوة ايمان أبي بكر الصديق ٢٤
- همة الصديق العاليه ٢٥
- بركة الصديق وآل بيته ٢٥

الموضوع | الصفحة

- تبشيره بالجنة ٢٦
- مدافعته عن رسول الله ٢٧
- **أعماله رضي الله عنه** ٢٨
- **قضاته وكتابه وعماله على الصدقات** ٣١
- **وفاته وعمره** ٣٢

الفصل الثاني: استخلافه ٣٧-٧٦

- **خطبة رسول الله قبل وفاته بخمسة أيام** ٣٧
- **ذكر أمره ﷺ الصديق بأن يصلي بالصحابة** ٣٨
- **شبهة وردها** ٤٥
- **وفاة رسول الله وأثر ذلك على المؤمنين** ٤٨
- **تنبيه** ٥١
- **ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاة رسول الله وقبل دفنه** ٥٢
- **مسألة مهمة** ٥٣
- **قصة سقيفة بني ساعده وحديث عمر الصحيح في بيانها** ٥٣
- **اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة** ٥٨
- **بيعة الصديق في المسجد وخطبته** ٥٩
- **بيعة علي والزبير** ٦١
- **فائدة جليلة** ٦٢
- **اجماع الصحابة على اختيار الصديق وبيعته من غير نص** ٦٤
- الأدلة على أن رسول الله لم يستخلف أحداً بعينه ٦٤
- الرد على الرافضة ٦٨

الموضوع	الصفحة
• الرد على الطرقية والقصاص	٦٩
- ما حصل من فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما بسبب ميراث النبي	٧٠
• رد شبهة	٧١
• استرضاء أبي بكر فاطمة قبل وفاتها	٧٤
- تجديد علي البيعة لأبي بكر بعد موت فاطمة	٧٥
الفصل الثالث: حركة الردة والقضاء عليها	٧٨-١٢٤
- خطبة للصديق بعد البيعة ودفن رسول الله	٧٨
- تنفيذ جيش أسامة أول أعمال الصديق	٧٩
- تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة	٨٢
- غزو الصديق للمرتدين حول المدينة	٨٧
- رجوع جيش أسامة وخروج الصديق مرة أخرى	٨٨
- خروج الصديق إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء	٨٩
- المنشور الموجه إلى المرتدين	٩١
- خروج الأسود العنسي في اليمن حياة رسول الله	٩٣
• مواجهة الأسود وقتله	٩٤
• اعلان قتله	٩٨
- ردة أهل اليمن بعد وفاة رسول الله	٩٩
- مسير خالد بن الوليد من ذي القصة لقتال المرتدين	١٠٠
• معركة بزاخة والقضاء علي بني أسد	١٠٢
• كتاب الصديق إلى خالد بعد هزيمة طليحة	١٠٤
• وفد بني أسد وغطفان إلى الصديق	١٠٤
• قصة أم زمل	١٠٥

الموضوع | الصفحة

- قصة الفجاءة ١٠٦
- **سجاح وبنو تميم** ١٠٦
- **خبر مالك بن نويرة وقومه** ١٠٨
- **معركة عقرباء باليمامة ومقتل مسيلمة الكذاب** ١١٠
- تاريخ الموقعة ١١٥
- قدوم وفد بني حنيفة على الصديق ١١٥
- **ردة أهل البحرين وعودهم إلى الاسلام** ١١٦
- كرامة للعلاء بن الحضرمي ١١٨
- هزيمة المرتدين ١١٩
- كرامة أخرى ١٢٠
- **ردة أهل عمان** ١٢١
- **بلاد مَهْرة** ١٢٣
- **ملخص حروب الردة** ١٢٤

الفصل الرابع: الفتوحات في بلاد العراق ١٢٦-١٤٩

- **بعث خالد إلى العراق** ١٢٦
- **تاريخ بعث خالد إلى العراق** ١٢٧
- **فتح الأبلة** ١٢٧
- **وقعة المذار** ١٢٩
- **معركة الوجلة** ١٣٠
- **وقعة أُلَيس** ١٣١
- **صلح الحيرة** ١٣٤
- محاورة بين خالد وعمرو بن عبدالمسيح ١٣٧

الموضوع | الصفحة

- كتاب خالد إلى مرازبة أهل فارس ١٣٨
- فتح خالد للأنبار ١٣٨
- وقعة عين التمر ١٤٠
- خبر دومة الجندل ١٤١
- خبر وقعتي الحُصَيد والمصيّخ ١٤٤
- وقعة الثَنِي والزميل ١٤٥
- وقعة الفراض ١٤٥
- توجه خالد للحج سنة ١٢هـ ١٤٦
- خريطة فتوحات خالد في العراق ١٤٧
- أمر العراق بعد مجيء خالد إلى الشام ١٤٨
- قدوم المثنى بن حارثة إلى المدينة ١٤٩

الفصل الخامس: الفتوحات في بلاد الشام ١٥١-١٧٤

- دوافع الفتوحات ١٥١
- خطبة للصديق في الحث على الجهاد ١٥٢
- بعث خالد بن سعيد بن العاص ١٥٢
- عقد الألوية وتسمية الأمراء ١٥٤
- أول المعارك ١٥٥
- وقعة اليرموك ١٥٦
  - تاريخ الموقعة والاختلاف فيه ١٥٦
  - اجتماع الروم واستعدادهم للمعركة ١٥٦
  - مسير خالد من العراق إلى الشام ١٥٨
  - خريطة توضح طريق خالد إلى الشام ١٦٠

الموضوع	الصفحة
• اجتماع الجيوش الاسلامية والاستعداد للمعركة	١٦١
• التعبئة العسكرية	١٦٢
• التعبئة الإيمانية	١٦٣
• المفاوضات قبل القتال	١٦٦
• إنشاب القتال	١٦٧
• اسلام أحد قادة الروم في ميدان المعركة	١٦٧
• صور من التضحية والبطولة	١٦٩
• كيف انتهت المعركة؟	١٧١
- قدوم البريد بوفاة الصديق	١٧٤
- سر هزيمة الروم وسؤال هرقل عن ذلك	١٧٤
المصادر والمراجع	١٧٦
فهرس أماكن الموضوعات في كتاب البداية والنهاية	١٨٢
فهرس الموضوعات	١٨٦